www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الرابع والعشرون

الجزء الرابع

(٢)

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

إهداء من
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...
الجديد والحصري
NEW & EXCLUSIVE

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « وضاء » كمنار الطريق

٢٩ شعبان ١٣٤١ — ٢٥ الحمل (ر١) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٦ ابريل ١٩٢٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخلافة الاسلامية

٥

٣٣ ـ كراهة غير المسلمين لحكومة الخلافة

قد يقول قائل : ان غير المسلمين في البلاد التي توصف بالاسلامية (نسبة الى السواد الاعظم من أهلها) يكرهون أن تؤسس حكومة الخلافة فيها ولا سيما النصارى الذين يرون أن ضعف النفوذ والتشريع والآداب والتقاليد الاسلامية في كل بلد اسلامي انما يكون بقوة نفوذ الافرنج وتشريعهم وآدابهم وتقاليدهم — وكذا لغاتهم — وبذلك تكون مقومات الامة ومشخصاتها أقرب الى النصرانية منها الى الاسلام ومن لم يؤمن بالعقيدة النصرانية والوصايا الانجيلية بمحبة الاعداء وكراهة الغنى وادارة الخد الايسر لمن يضربه على خده الايمن فانه قد يكون أشد استمساكا بالنصرانية الاجتماعية السياسية من أقوى المؤمنين بالانجيل ايماناً . فتلك النصرانية المزورة التي تنسب اليها المدنية المادية الاوربية هي مثار التعصب والكراهة لكل ماهو اسلامي لا نصرانية الانجيل الواهدة المتواضعة الخاشعة ذات الايثار الذي يسمونه « انكار الذات »

واذا كان أمثالهم من متفرنجة المسلمين يكرهون الحكومة الدينية ويعارضون في احياء منصب الخلافة أفلا يكون متفرنجة النصارى أولى؟ واذا كان الامر كذلك فكيف نعود الى تجديد حكومة دينية يكرهها كثير من رعاياها وينفرون منها؟

الجواب عن هذا يحتاج الى تفصيل نكتفي بالضروري منه فنقول : اذا صح مايعزى الى من ذكر من أهل الوطن بمقتضى العاطفة وتأثير التربية، فان من يمحص الحقيقة وينظر اليها بعين المصلحة سواء كان منهم أو من غيرهم فانهم يحكمون فيها حكما آخر

ان حكومة الخلافة اسلامية مدنية قائمة على أساس العدل والمساواة الا أن لغير المسلمين فيها من الحرية الشخصية ماليس للمرتد والمنافق من المسلمين ، فهؤلاء يريدون أن يكون الاسلام رابطة جنسية أدبية حرة بحيث يكون لهم في حكومته جميع حقوق المسلمين الشرعية والعرفية والقانونية وان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صرحوا بأنهم لا يدينون الله بالايمان بعقيدته ، ولا باقامة أركانه وشعائره، وهم يعلمون ان الحكومة الاسلامية لا تعطيهم شيئاً من ذلك، حتى ان المرأة اذا علمت من زوجها أنه ارتد عن الاسلام حرم عليها أن تقيم معه وتستمر على عصمته ، وأحكام المرتدين معروفة فأمرهم أغلظ من أمر الوثنيين دع الكتابيين الذين تحل ذبائحهم والتزوج بالمحصنات من نسائهم، ولا تعاقب الحكومة الاسلامية غير المسلمين على شيء يحل لهم في دينهم ـ وان لم يكن حلالا في الاسلام ـ الا ما فيه إيذاء لغيرهم ، بل لا تحاسبهم على شيء من أعمالهم الشخصية التي لا تضر المسلمين ولا غيرهم من رعيتها وان خالفت دينهم، ولكنها تحاسب المسلمين وتعاقبهم على المعاصي بالحدود وأنواع التعزير كالتوبيخ والحبس، وذلك ان من أصول الاسلام حفظ الآداب والفضائل ومنع الفواحش والمنكرات . وقد وصف الله المسلمين بقوله (الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وقال فيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وأحكام الردة والحسبة في الاسلام معروفة

فعلم بهذا ان ملاحدة المسلمين وفساقهم المستهترين اجدر أن يكونوا أشد كراهة لاقامة أحكام الشريعة من غير المسلمين لانها تكلفهم ما لا تكلف غيرهم وتؤاخذهم مالا تؤاخذه به . وقد اقترح بعض هؤلاء الملاحدة على جماعة المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق أن يقرروا جعل الحكومة السورية غير دينية. ولا أذكر أن أحدا من الاعضاء النصارى وافق على الاقتراح بل صرح بعضهم برده كأكثر المسلمين. واقترح في ذلك المؤتمر أن تقيد مادة الحرية الشخصية من القانون الاساسي بقيد عدم الاخلال بالآداب العامة فرد هذا الاقتراح بعض هؤلاء الموصوفين بالمسلمين وصرح بعضهم بتعليل الرد بانه يترتب عليه أن يجوز للشرطة منع الرجل من الجلوس مع امرأة في ملهى من الملاهي أو مقهى من المقاهي العامة لمعاقرة الخمرة (؟؟) وقد كان رد هذا الاقتراح أقبح خزي صدر من ذلك المؤتمر وان علل الرد بعضهم بالاستغناء عن قيد الآداب العامة بقيد القوانين التي يمكن أن ينص فيها على ذلك القيد، وخدع بعض أهل الدين والادب بذلك وما كان ينبغي لهم أن يخدعوا ، بل أقول ان أكثر النصارى من أعضاء ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤتمر كانوا أقرب الى المسلمين المستمسكين بأحكام الاسلام منهم الى المتفلتين من الدين ، وان كانوا يتقربون اليهم وينتصرون لهم فيما يوافق أهواءهم من مخالفة هداية الدين العامة

وقد ثبت بالتجارب أن غير المتدينين اذا اختلفوا لاسباب سياسية أو غيرها فانهم يكونون أشد عداوة وقسوة بعضهم على بعض من المتدينين بالفعل من الفريقين — فالمتدين وان شذ يكون أقرب الى الرحمة من المادي — واعتبر ذلك بما وقع من القسوة في هذه الحرب البلقانية العامة بين الاوربيين أنفسهم وبين من غلبت عليهم تربيتهم من الارمن والروم والترك

وأضرب مثلا آخر الدكتور برتكالوس الرومي قال لجماعة من السوريين كانوا يظهرون الابتهاج والسرور بالدستور العثماني عقب اعلانه : ان حكم الشريعة الاسلامية خير لنا معشر النصارى من حكم الدستور الذي يسلبنا كثيراً مما أعطتنا الشريعة من الامتيازات ، ويحملنا ما أعفتنا من التكليفات . وأيد كلامه اشتداد العداء بين الترك وبين الروم والارمن وغيرهما بعد الدستور الذي ترتب عليه سلب هؤلاء كثيرا مما كان لهم منذ كان الحكم بالشرع وحده

وانني أعقب على هذا القول بأن أشد ما يتبرم به متفرنجة الترك من أحكام الشريعة هو ما أعطته من الحرية الواسعة لغير المسلمين في بلاد الاسلام ، ويرون انه لولاها لصارت هذه البلاد ملة واحدة كبلاد أوربة التي لم يكن فيها شيء من هذه الحرية ، ولاستراحت من العداوات والفتن التي أثارها عليهم نصارى الروملي فالاناضول بدسائس أوربة حتى كانت سبب انحلال السلطنة العثمانية — هذا رأيهم ، ومن الغريب ان كثيرا من نصارى بلادنا المتفرنجين يوافقونهم على هذه النظرية ويقولون ياليت المسلمين أكرهوا اجدادنا على الاسلام في ازمنة الفتح والقوة ، اذاً كنا في اوطاننا امة واحدة ذات ملة واحدة فنسلم من شقاء هذا الشقاق والفتن المخربة للبلاد

لا مجال في هذا المقام لتحرير القول في هذه المسألة ، وليس من الصعب بيان خطأ من يظن أن معاملة نصارى الدولة بعدل الشريعة الاسلامية وحريتها هو الذي ألبهم عليها ولا اثبات ان الذي ألبهم ثم اثارهم هو جهل رجال الدولة وغفلتهم عن دسائس أوربة في هذه الشعوب وما بثوا في مدارسها وكنائسها ! ، وانما غرضنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من ذكرها ان الشريعة الاسلامية خير للنصارى في بلاد اكثر اهلها مسلمون من حكومة مدنية لا يتقيد اهلها بأصول هذه الشريعة — كما كانوا في عهد الخلفاء من العرب — فان الفرق الحقيقي بين الحكومتين هو ان الاكثرية المسلمة لا يحل لها ان تتبع هواها في التشريع الديني ولا في التنفيذ بما يعد ظلما للاقلية غير المسلمة لان الله تعالى حرم الظلم تحريماً مطلقاً لا هوادة فيه ولا عذر ، واوجب العدل إيجاباً مطلقاً عاما لا محاباة فيه ، وحذر تحذيراً خاصاً من ترك العدل في حالة الكراهة والبغض من اي فريق كان بقوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا. إعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) اي ولا يحملنكم بغض قوم لكم او بغضكم لهم — قال بعض المفسرين اي الكفار ، والصواب انه اعم — على أن لا تعدلوا فيهم بل اعدلوا فيهم كغيرهم — وحذف المعمول دليل العموم — اي اعدلوا عدلا مطلقاً عاماً في المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والصديق والعدو ، الخ وقال في آية اخرى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً) اي كونوا قائمين بالعدل في الاحكام وغيرها على اكمل وجه — كما تدل عليه صيغة المبالغة — شهداء لله في إثبات الحق ، وما كان لله لا يميز فيه المؤمن نفسه ولا والديه واقرب الناس اليه على غيره ، لان هذا التمييز إيثار لنفسه او لقريبه على ربه الذي جعل الشهادة له سبحانه ، ولا يفرق فيه بين الغني والفقير بأن يحابي الغني طمعاً في نواله او الفقير رحمة به ، وقفى على هذا الامر بالنهي عن ضده وهو اتباع هوى النفس ، كراهة للعدل وبحظر اللي والتحريف للشهادة او الاعراض عنها او عن الحكم بالحق ، وتهدد فاعل ذلك وتوعده بأنه خبير بأمره لا يخفى عليه منه شيء — دع ما ورد في الاحاديث النبوية من الوصية بأهل العهد والذمة خاصة ، ولولا ذلك لفعلت الحكومات الاسلامية القوية بالمخالفين لهم ما فعل غيرهم من إبادة بعض وإجلاء آخرين عن ديارهم أو إكراههم على الاسلام ، او سن قوانين استثنائية لقهرهم وإذلالهم ، وفي التاريخ العثماني ان السلطان سليمان استفتى شيخ الاسلام ابا السعود العمادي الدمشقي الاصل في اكراه النصارى على الاسلام او الجلاء فأبى ان يفتيه وبين له ان الشريعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تبيح ذلك فأذعن، وكان يريد ان يفعل بهم كما فعلت الدولة الاسبانية بمسلمي الاندلس

وثم فرق آخر بين الشرع الاسلامي والاشتراع البشري الذي لا تتقيد حكومته بالدين هو في مصلحة غير المسلمين أيضا، وهو أن كل مسلم يعتقد أن الحكم الشرعي حكم الهي وان طاعته قربة وزلفى عند الله يثاب عليها في الآخرة، وعصيانه عصيان لله تعالى يعاقب عليه فيها، سواء حكم به الحاكم عليه أم لا، ولكن حكم الحاكم يرفع خلاف المذاهب، فتكون طاعته ضربة لازب. وهذا ضمان لغير المسلم الوازع فيه نفسي ولا ضمان مثله للمسلم من غيره،

(فان قيل) كل ذي دين يحاسب نفسه (أو ضميره) على مايعتقده من حق عليه. (قلنا) هذا عام مشترك ومانحن فيه أخص منه، وهو احترام الحكم الشرعي ووجوب طاعة الحاكم اذا حكم عليه سواء اعتقد صحته أم لم يعتقد — وان أمن عقاب الحكومة في التفصي منه بالحيلة

وجملة القول أنه ليس في الشريعة ظلم لغير المسلم يعذر به على كراهتها وهي تساوي بين أضعف ذمي أو معاهد وبين الخليفة الاعظم في موقف القضاء وتقرير الحقوق، والشواهد على هذا في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها متعددة واننا نصرح بكل قوة بأن العدل العام المطلق لم يوجد الا في الاسلام

ولا نعرف لهم مطعنا في هذه المساواة الا مسألة رد شهادة غير المسلم على المسلم. وهي مسألة لا يقوم دليل على إطلاق القول فيها. بل لها مخرج من الكتاب والسنة واصول الشريعة. فقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن ليس فيها حكم منسوخ (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) الآية — المتبادر الذي عليه جمهور السلف والخلف أن المراد بغيركم غير المخاطبين بالآية وهم المسلمون وخصه بعض العلماء بأهل الكتاب ولا دليل على هذا التخصيص، وقيده بعضهم بمثل الحالة التي نزلت فيها الآية بناء على أن الاصل في شهادة غير المسلم العدل أن ترد لقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم)

وقد بينا ضعف الاستدلال بهذه الآية على ماذكر في تفسير آية المائدة بتفصيل منه ان هذا في الامر بالاشهاد في مسألة المطلقات المعتدات من المسلمات لا في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشهادة مطلقا ولا في كل اشهاد ، وقد قال تعالى في الاشهاد على الاموال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) ولم يقيد هذا الاشهاد بالعدول من المؤمنين كما قيده في المسألة الخاصة بالنساء المسلمات ، وبينا ضعف حمل المطلق على المقيد في الآيتين مع اختلاف موضوعهما ، والفرق بين الاشهاد والشهادة، كما بينا ضعف القول بأن غير المسلم لا يكون عدلا بدليل القرآن اذ جاء فيه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقوله (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك) كما بينا ضعفه بدليل سيرة البشر المعلومة بالاختبار والعقل وهو أنه لم توجد أمة من الامم جردت من الصدق والعدالة بحيث لا يصدق أحد من أهلها ، وبينا أيضاً سبب تفضيل الفقهاء للمسلم على غيره في في الشهادة من أربعة أوجه أهمها ما كان عليه المسلمون الاولون من التقوى والصدق وعدم المحاباة عملا بوصايا الدين التي تقدم بعض الآيات فيها آنفا ، وما اتفق عليه المؤرخون في مقابلة ذلك من غلبة فساد الاخلاق على الامم الاخرى التي فتح المسلمون بلادها

وفي اصول الشريعة مستند آخر لشهادة غير المسلم وهو دخولها في عموم البينة اذا ثبت عند القاضي صدقه فيها فان البينة في اللغة كل ما يتبين به الحق وقد فصل المحقق ابن القيم هذا المعنى في كتابه (إعلام الموقعين) ونشرنا ذلك في المنار وبينا انه يدخل في عموم البينة كل ما تجدد في هذا العصر من أنواع الجرائم كأثر خطوط الاصابع على الاشياء مثلا. ومن أراد التفصيل فعليه بالمنار وتفسيره

فلم يبق بعد هذا البيان على إجماله من عذر لغير المسلمين اذا كرهوا إحياء الشريعة الاسلامية العادلة لمحض التعصب الاعمى أو لتفضيل تشريع الاجانب على تشريع من يشاركهم في وطنهم. وليس من الحق ولا من العدل أن تكلف أمة ترك منقبة التشريع الفضلى، ومثل هذه الحكومة المثلى ، إرضاء لفئة قليلة لا مصلحة لها في تركها وانما تكرهها لمحض التعصب على السواد الاعظم من أهل وطنها ، وناهيك بما تأرث من الاضغان بين مسلمي الاناضول والروم والارمن الذين خرجوا على الترك في زمن محنتهم ، وساعدوا أعداءهم عليهم في حربهم ،

وموضوع الكلام في إقامة الخلافة في هذه البلاد التركية فاذا رضي الترك بذلك وعاملوا هؤلاء الجناة البغاة بعدل الشريعة ورحمتها فلا يعقل أن يكرهوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك أو يفضلوا عليه غيره ان كانوا يعقلون، وانما أخشى أن يكون هذا الامر نفسه مما ينفر كثيرا من الترك عن إقامة الشريعة التي تحرم ان يتبعوا الهوى في معاملة أقوام أولئك الجناة القساة الذين خربوا ديارهم بالنار والبارود وهم يرونها بأعينهم أكواما من الرماد والانقاض

وهذه حكومات جزيرة العرب إسلامية محضة ليس فيها قوانين وضعية ولا تشريع أوربي، وأقدمها حكومة أئمة اليمن وهنالك كثير من اليهود وهم راضون من حكومة الامامة الشرعية لم يشكوا منها ظلما ولا هضما، ولا يفضلون عليها حكومة أخرى؛ ولو سرى اليهم سم السياسة الاستعمارية من طريق التعليم أو غيره لافسدوهم على حكومتهم، واثاروهم عليها لطلب وطن قومي لهم في البلاد. ولو عدم نافثو السم بالمساعدة على ذلك حبا في الانسانية أي حبا بافساد الانسانية واثارة البغضاء بين المختلفين في الدين والجنس أو اللغة بعضهم على بعض ليتمكنوا هم من استعباد الجميع. (فاعتبروا يا أولي الابصار)

٣٤ ـ الخلافة ودول الاستعمار

من البديهي [1] أن إقامة الخلافة الاسلامية يسوء رجال دول الاستعمار، وانهم قد يقاومونها بكل ما أوتوا من حول وقوة، وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية، ولا أجهل ممن يظنون أنها كانت تسعى قبل الحرب لجعل الخلافة في الامة العربية، الا الذين يظنون اليوم أنها تود اليوم تأسيس دولة او دول عربية ولو كانت تريد هذا من قبل لكان أقرب طرقه مساعدة أئمة اليمن المجاورين لها في منطقة عدن على الترك بالسلاح والمال لتنظيم جيشهم والاستيلاء على الحجاز، فان حكومة الامامة في اليمن قوية عادلة قديمة راسخة يرجع تاريخها الى القرن الثالث من الهجرة، وقد حاربتها الدولة العثمانية زهاء أربعة قرون لاسقاطها فعجزت عن ذلك، ولكن الحكومة البريطانية كانت لها بالمرصاد، وما زالت تكيد لها، وتسعى بالدسائس والفتن للتدخل في شؤونها، والتوسل بذلك للاستيلاء عليها، ولم تستطع ذلك ولن يجعل الله لها عليها سبيلا

(١) انا نختار ما اختاره علماء المعقول من قدمائنا في النسبة الى البديهة والطبيعة والغريزة على الفاظها كالسليقة الذي ثبت سماعا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد اشتهر لدى الخاص والعام أن الدولة البريطانية، كانت ظهيرة للخلافة العثمانية التركية ، وما ذلك الا لعلمها أنها صورية ، وانها هي التي تنتفع باظهار صداقتها لها، وكان رجال هذه الدولة الداهيـة أعلم الناس بأن هذه الدولة قد دب في جسمها الانحلال ، وانها سائرة في طريق الفناء والزوال ، وانما كانوا يحاولون أن تبقى حصناً بين القيصرية الروسية المخيفة بسرعة تكونها ونموّها وبين البحر الابيض المتوسط ، على شرط أن تكون قوة هذا الحصن بما وراءه من المساعدة البريطانية لا بنفسه . وقد بينا هذا في المنار من قبل ، وان الغازي احمد مختار باشا وافقنا على أن قاعدة الدولة البريطانية في السياسة العثمانية: ان لا تموت الدولة ولا تحيا، وبينا أيضاً أن هذه القاعدة قد تغيرت بما كان بين الدولتين البريطانية والروسية على مسائل الشرق، وافتسامهما بلاد ايران قبل الحرب، وانها تجنح الى إقامة خلافة عربية صورية تكون آلة بيدها الا بعـد الحرب العامة والتمكن من خداع شريف مكة وتسخيره لمساعدتها ، ونحمد الله أن جعلنا من أسباب خيبة هذا السعي حتى لم يتم لها

قد عنيت الدولة البريطانية منذ أول زمن هذه الحرب بالبحث في مسألة الخلافة وطفق رجالها يستطلعون علماء المسلمين وزعماءهم في مصر والسودان والهند وغيرها آراءهم فيها ليكونوا على بصيرة فيما يريدونه من إبطال تأثير إعلان الخليفة العثماني الجهاد الديني بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة وبدعوى أن هذه الحرب لا شأن للدين فيها من جهة اخرى ، وقد وجد من منافقي الهند من كتب لهم رسالة باللغة الانكليزية في ذلك وأرسلها الينا ناشرها لنترجمها بالعربية وننشرها في المنار فعجبنا من جهله ونفاقه ، ولو لا المرقبة الشديدة على الصحف عامة والمنار خاصة في تلك الايام لرددنا عليها . وقد اطلعنا على ما كتبه بعض علماء مصر لهم في الخلافة وهو نقل عبارة شرح المقاصد وعبارات أخرى في معناها وعلمنا ان بعض العلماء كتب لهم بعض الحقائق فيها

وقد دارت بيننا وبين بعض رجالهم مناقشات في المسألة العربية اقتضت أن نكتب لهم مذكرات في خطتهم سياستهم فيها بيننا في المذكرة الاولى منها التي قدمناها لهم في أوائل سنة ١٩١٥ أن أكثر مسلمي الارض متمسكون بالدولة العثمانية وخليفتها لانها أقوى الحكومات الاسلامية وانهم يخافون أن يزول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يزوالها حكم الاسلام من الارض، وان هذا اعظم شأنا عندهم من بقاء المعاهد المقدسة سليمة مصونة. بل بينا لهم أيضاً أن اعلانها الجهاد شرعي وان سبب ضعف تأثيره في مثل مصر هو الاعتقاد بأنها منتصرة مع حلفائها فلا تحتاج الى مساعدة . . .

وعدت الى بحث الخلافة في آخر مذكرة منها وهي التي أرسلتها الى الوزير لويد جورج في منتصف سنة ١٩١٩ فقلت في بيان ما يرضي المسلمين من انكلترة «ان الوزير قد علم أن الاعتراف باستقلال الحجاز وتسمية أمير مكة ملكا لم يكن له ذلك التأثير الذي كان الانكليز يتوقعونه من قلوب المسلمين — ذلك بأن بلاد الحجاز أفقر البلاد الاسلامية وأضعفها في كل شيء، وهي موطن عبادة، لا ملك وسيادة ، ولم يكن المسلمون مضطربين من الخوف على المساجد المقدسة أن تهدم أو يمنع الناس من الصلاة فيها والحج اليها وزيارتها، بل الاضطراب الاعظم على السلطة الاسلامية التي يعتقدون أن لا بقاء للاسلام بدونها، والحرص على بقائها ممزوج بدم كل مسلم وعصبه ، فهو لا يرى دينه باقياً الا بوجود دولة اسلامية مستقلة قوية قادرة بذاتها على تنفيذ أحكام شرعه بغير معارض ولا سيطرة اجنبية ، وهذا هو السبب في تعلق أكثر مسلمي الارض بمحبة دولة الترك واعتبارهم إياها هي الدولة الممثلة لخلافة النبوة، مع فقد سلطانهم لما عدا القوة والاستقلال من شروطها الخاصة ، ولولا ذلك لاعترفوا بخلافة امام العين لشرف نسبه وعلمه بالشرع واستجماعه لغير ذلك من شروط الخلافة ، ذلك بأن الشروط تعد ثانوية بالنسبة الى اصل المطلوب ، مثال ذلك أن الحكومة المصرية تشترط في مستخدميها أن يكونوا مصريي الجنس عارفين باللغة العربية حاملين لشهادات مخصوصة — ولكنها عند ما تحتاج الى مستخدم في عمل لا يوجد مصري يعرفه تترك اشتراط ذلك فيه لانه انما يقدم المسمى في الشروط على غيره اذا كان قادرا على أصل العمل المطلوب » اه المراد هنا من مذكرتنا الى لويد جورج

وكان الغرض من هذا أن لا يغتروا بما يسمعون من عدم استجماع الخليفة التركي لشروط الخلافة ، ولا بما كانوا يرمون اليه من جعل شريف مكة خليفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد اعترافه لهم بأن مكان الامة العربية من انكلترة مكان القاصر بالطفولية أو الفتة من الوصي ورضاه بحمايتهم له ولها ، وقد صرحنا للوزير في هذه المذكرة بأن الذي يرضي العالم الاسلامي من دولته ترك الشعوب الاسلامية العربية والتركية والفارسية أحرارا مستقلين في بلادهم وبقاء مسألة الخلافة على ما هي عليه الى ان يمكن تأليف مؤتمر اسلامي عام لحل مشكلتها، وقد بينا فيها ايضا أن هذه الدولة مستهدفة لعداوة الشرق كله بالتبع لعداوة العالم الاسلامي فلا يغرنها ضعف المسلمين وتفرقهم فتحتقر عداوتهم مع كونهم مئات الملايين فانهم لن يكونوا أضعف من « ميكروبات » الاوبئة. وسننشر هذه المذكرة في الوقت المناسب

لم يبال هذا الوزير بنصح هذه المذكرة فاستمر على سياسة القضاء على دولة الترك واستعباد العرب حتى خذله الله وخذله قومه وأسقطوا وزارته، ولكن بقي أشد أنصاره في الوزارة التي خلفتها وهو لورد كرزون الذي هو أشد تعصبا وعداوة للمسلمين منه فلذلك لم يتغير من سياسة الدولة شيء في المسألة الاسلامية الا ما اضطرت اليه من مجاملة الدولة التركية الجديدة بعد تنكيلها بالجيش اليوناني الذي أغرته وزارة لويد جورج بالقضاء على ما بقي للترك من القوة في الاناضول، فأثبتت بذلك أنها لا تلين الا للقوة، وأما الحق والعدل والوفاء بالعهود والوعود فلها في قاموس سياستها معان أخرى غير ما يعرفه سائر البشر في لغاتهم

٣٥ — الخلافة ونهمة الجامعة الاسلامية

ان السبب الاول لكون الدولة البريطانية هي الخصم الاكبر الاشد الاقوى من خصوم الخلافة الاسلامية هو أنها تخشى أن تتجدد بها حياة الاسلام وتتحقق فكرة الجامعة الاسلامية فيحول ذلك دون استعبادها للشرق كله. وقد نشرنا في مجلدات المنار أقوالا كثيرة لساسة الاوروبيين في هذه المسألة من أهمها ما نشرناه في المجلد العاشر سنة ١٣٢٥ من رأي كرومر في تقريره السنوي عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ فيها واهمه قوله

« المقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها ، فاذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل الامم الاوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الحركة مراقبة دقيقة لانها يمكن أن تؤدي الى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم . . . . . »

ثم ذكر ان للجامعة الاسلامية معاني أخرى أهم من المعنى الاصلي وهي

(أولها) في مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده . . . .

(وثانيها) استلزامها لتهييج الاحقاد الجنسية والدينية الا فيما ندر . . . .

(وثالثها) السعي في اصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامي (!!) وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين لاعادة مبادىء وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة » وذكر أن عيب هذه المبادىء والسنن والشرائع هو المناقضة لآراء أهل هذا العصر في علاقة الرجال بالنساء وأمرا ثالثا قال انه « أهم من ذلك كله وهو أفراغ القوانين المدنية والجنائية والملية في قالب واحد لا يقبل تغييراً ولا تحويراً (قال) وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام »

ثم قفى على تحذير الاوربيين من الجامعة الاسلامية بتحذيرهم من الجامعة الوطنية لئلا تتجلبب بها الاولى « التي هي اعظم الحركات المتقهقرة »

رددنا على لورد كرومر في كل هذه المسائل ردا مسهبا ورد غيرنا عليه أيضاً، وفي هذه المباحث ما فيها من تفنيد كلامه، وغرضنا هنا أن نبين شدة اهتمام الانكليز بمقاومة الجامعة الاسلامية بكل معنى من معانيها، وتحريضهم جميع الاوربيين وجميع النصارى عليها وعلى من يتصدى لها، وتخويف المسلمين منها

ولقد كان من إرهاب أوربة للشعوب الاسلامية وحكوماتها أن جعلتها تخاف وتحذر كل ما يكرهه الاوربيون منها وتظهر الرغبة في كل ما يدعونها اليه وجروا على ذلك حتى صار الكثيرون منهم يعتقدون ان ما يستحسنه لهم هؤلاء الطامعون فيهم هو الحسن، وما يستقبحونه منهم هو القبيح، اذ تربوا على ذلك، ولم يجدوا أحداً يبين لهم الحقائق - وكان هذا عونا لهم على سلب استقلال هؤلاء المخدوعين والمرهبين في بعض البلاد وغلبة نفوذهم على نفوذ الحكومة في بلاد أخرى كمصر والدولة العثمانية، واستحواذ الجبن والغرور على رجال الحكومات في هذه البلاد حتى ان أركان الدولة العثمانية لم يتجرؤا على الاذن لنا بانشاء مدرسة اسلامية في عاصمتها باسم (دار الدعوة والارشاد) كما تقدم، ولم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكونوا كلهم يجهلون ماذكرت بل قال لي شيخ الاسلام حسني أفندي رحمه الله تعالى : ان عندنا قاعدة مطردة في الافرنج هي أن كل مايرغبوننا فيه فهو ضارّ بنا وكل ما ينفروننا عنه فهو نافع لنا . وانما هو جبن بعض الرؤساء وفساد عقائد بعض . وما الجبن الاغشاوة من الوهم على عين البصيرة انقشعت عن ترك الاناضول ، فرأوا أنهم بعد انكسارهم في الحرب العامة، وفقدهم لتلك الممالك الواسعة، أعزوأقوى مما كانوا عليه منذ مائتي سنة، إذ كانت البلاد فيها تنتقص من أطرافها، وتفوذ الاجانب في عاصمة الدولة فوق نفوذ خليفتها وسلطانها.

لهذا السبب ينوط الرجاء بحكومة الاناضول ألوف الالوف من المسلمين أن تحيي منصب الخلافة وتجدد به مجد الاسلام وشريعته الغراء التي يرجى أن يتجدد باحيائها مجد الانسانية، ويدخل البشر في عصر جديد ينجون به من مفاسد المدنية المادية، التي تهدد العمران الاوربي بالزوال

أنا لاأتصور أن يكون الرعب من معارضة دول أوربة الاستعمارية هو الذي يمنع الترك من اقامة الخلافة الاسلامية . فان هذا شكل حكومتنا، ومقتضى ديننا ، وطالما صرحت هذه الدول بعد الحرب بأنها لا تفتات على المسلمين في أمر الخلافة . وأما الجامعة الاسلامية التي يخافونها فهي مسألة أخرى . ولكل دولة لها رعايا من المسلمين أن تسوسهم بالطريقة التي تراها أحفظ لمصلحتها، نعم لن يكون الافرنج هم الذين يمنعون إقامة الخلافة ولكن الذي يخشى أن يمنعها انما هم المتفرنجون دون غيرهم وقد شرحنا ذلك من قبل

من المعقول في السياسة أن يطمن المستعمرون للبلاد الاسلامية في جامعة دينية يظنون أنها قد تفضي الى انتقاض أهل هذه البلاد عليهم ، ويخافون أن تكون الخلافة الحق سببا لتحقق هذه الجامعة، وأن يطعنوا في الشريعة الاسلامية وينفروا المسلمين منها لاجل ذلك ، كما يطعن فيها دعاة النصرانية لهذه العلة وللطمع في تنصير المسلمين ، وهذا الخوف من اقامة الخلافة يكون على أشده اذا كان الباعث على اقامتها السياسة المحضة التي يستحل أصحابها كل عمل لاجل مصلحتهم ، وقد يكون دون ذلك اذا كان الباعث دينيا محضا وهو اقامة حكم الاسلام كما شرعه الله تعالى، وليس من شروطها أن يتبعها جميع المسلمين ، ونحن نعلم أن هذا متعذر غير مستطاع في هذا الزمان ، وتكليف غير المستطاع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ممنوع في الاسلام (لايكلف الله نفسا الا وسعها) بل نحن نرى الرأي الغالب في بعض البلاد يأبى إحياء الخلافة حتى اننا نجتهد في اقناع الحكومة التركية الحاضرة به ونشك في قبولها ، فان زعيمها وصاحب النفوذ الاعلى في أقوى أحزابها يصرّح في خطبه بأن السلطة في هذه الحكومة للامة التي يمثلها المجلس الوطني الكبير بلا شرط ولا قيد وانه لا يمكن أن يكون لشخص معين نفوذ فيها مهما يكن لقبه — أي خليفة سمي أو سلطانا —

لما أذاع الاتحاديون عزمهم على انشاء مدرسة جامعة اسلامية في المدينة المنورة وابتداع سجل لطلاب الشفاعة النبوية فيها وقالت الجرائد وغير الجرائد أن مرادهم بذلك احياء الجامعة الاسلامية — كتبت مقالة في هذا الموضوع نشرتها في المجلد السابع عشر من المنار (سنة ١٣٣٤) قلت فيها نصه :

«وأما رأيي الذي أنصح به للدولة، فهو أن تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الاسلامية يضر الدولة كثيرا ولا ينفعها الا قليلا ، ويوشك أن تكون هذه الاقوال التي قيلت في هذه المسألة — على قلة تأثيرها — من اسباب ما نراه من شدة تحامل اوربة عليها ، واكتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكرره الامام الغزالي « كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة »

« ومرادي من هذا انه يجب عليها احد امرين :

(الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتعطي مقام الخلافة حقه من احياء دعوة الاسلام ، واقامة الحدود وحرية اهل الاديان ، ولا يعجزها حينئذ أن ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم اهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الاجنبية ، بل يكون ارضاؤهم اسهل عليها منه الآن ان شاءته . ولو كان لي رجاء في اصغائها الى هذا الرأي ، او جعله محل النظر والبحث ، لبينت ذلك بالتفصيل ، ولاوردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذه من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجي لها من الخطر ، وان تراءى لكثير من الناس أنه هو المسرع بالخطر ، فلما منهم أن أوربة تعجل بالاجهاز على الدولة اذا علمت أنها شرعت بنهضة اسلامية ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لعلمها بأن هذه هي حياتها الحقيقية، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الاوربيين وان خوف منه بالتمويه والايهام أكثر السياسيين

(الثاني) أن تدع كل ما عدا الامور الرسمية المعهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة، ولها أن تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالحماية، وكذا بالاعانة المالية من أوقاف المسلمين الخيرية (اذا كانت تريد بقاء الاوقاف العامة في يدها ولم تجب طلاب الاصلاح الى جعل اوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع بقائها بمعزل عن السياسة وأهلها. ولو لا أن هذا هو رأيي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد أن يكون في يد جماعة حرة، لا علاقة لها بالسياسة، وأن لا تخصص لها اعانة من خزينة الدولة، بل تكون نفقاتها مما تجمعه هي من الاعانات بأنواعها ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية. (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله، إن الله بصير بالعباد) اهـ

هذا ما كتبناه في ذلك الوقت وقد شرحنا آراء الافرنج في الجامعة الاسلامية وما فيها من الاوهام وما ينبغي للمسلمين مرارا، في مجلدات المنار

٣٦ ـ شهادة لوردين للشريعة الاسلامية

ما كل من يتكلم في الاسلام وشريعته من الافرنج يتكلم عن علم صحيح وما كل من لديه علم يقول ما يعتقد فان منهم من تنطقه السياسة بما تريه من مصلحة دولته، ومنهم المتعصب الذي لا يبحث عن شيء من امر الاسلام الا ما يمكن الطعن فيه لتشكيك المسلمين في دينهم أو لتحريض أعدائهم عليهم. وقد وجد فيهم من قال الحق في الاسلام وشريعته في أحوال اقتضت ذلك

من هؤلاء لورد كرومر الذي طعن الشريعة تلك الطعنة النجلاء التي أقامت مصر وأقعدتها قد اضطر الى انصافها وتقييد ما أطلقه من الطعن فيها بما لا ينكره احد من عقلاء المسلمين، كما أنصفها بكلمة قالها مرة للاستاذ الامام ونشرنا هذا وذاك في مجلد المنار العاشر إذ كان هو بمصر، فقد قلت في سياق الرد على طعنته ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى حدثني أنه كان يكلمه مرة في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مسألة اصلاح المحاكم الشرعية في إبان اهتمام الشعب والحكومة بها واعتراض بعض العلماء على اصلاحها ، فأقام له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل اصلاح ، ويناسب كل زمان ، فقال له اللورد ما ترجمته :

« أتصدق يا استاذ أنني أعتقد أن ديناً اوجد مدنية جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون اساسه العدل ؟ هذا محال ، ولكنني اعلم ان هذه المقاومات (اي لاصلاح المحاكم) امور (إكليركية) » اي تقاليد رجال الدين الاسلامي كتقاليد الكنيسة عند النصارى

هذه الكلمة حملتني على ارسال كتاب الى اللورد هذا نصه :

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب اللورد العظيم

أحييك بما يليق بمكانتك، وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك، وأرجو أن تمن علي ببضع دقائق من وقتك الثمين تجيبني فيها عن السؤال الآتي الذي يهمني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو:

هل عنيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشريعة الاسلامية «التي وضعت منذ أكثر من ألف سنة» الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية؟ أم عنيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء ؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراؤهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضاً وقد ترك حكام المسلمين أنفسهم العمل بكثير منه ولطلاب الاصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب . وان كنت تعني الاول فهذا العاجز مستعد لان يبين لجنابكم أن معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة — وهي توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان اساسها درء المفاسد وجلب المصالح بحكم الشورى — وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل المعظم) راجع الى ذلك . وأختم رقيمي مودعا لجنابكم بالتحية والاحترام

منشيء المنار بمصر

محمد رشيد رضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أجابنا بالكتاب الآتي بنصه العربي موقعا ومؤرخا بخطه الافرنجي وهو

كتاب لورد كرومر الى صاحب المنار

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريد المنار

جوابا على خطابكم اقول اني عنيت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي تسمونها الفقه لانها هي التي تجري عليها الاحكام ولم اعن الدين الاسلامي نفسه ولذلك قلت في هذا التقرير الاخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يمس اصول الدين . ولعل العبارة التي كتبتها بتقريري كانت موجزة فلم تؤد المراد تماما واقبلوا ياحضرة الاستاذ احترامي الفائق

في ٤ مايو سنة ١٩٠٧ كرومر

كلمة لورد كتشنر للسيد الزهراوي

زار السيد عبد الحميد الزهراوي عقب تعيينه عضواً في مجلس الاعيان العثماني مصر ونزل ضيفا عند صديقه صاحب المنار ، وزار لورد كتشنر القميد البريطاني في ذلك الوقت بايعاز وكنت معه فكان مما قاله له اللورد باللغة العربية: [1] « ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا — معشر الاوربيين — ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد تربية تدريجية في عدة قرون كنا نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لعقائدكم ولاحوالكم الاجتماعية ، فالواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين اوربة فتقيم العدل وتحفظ الامن وتستغل بلادها الخصبة ، وعندي انها لا تصلح بغير هذا »

هذا الكلام حق وان جاز على قائله الجهل والخطأ فيما يظن انه لا يصلح لنا من قوانين اوربة ونحن نعلم ان كل ما لديهم من حق وعدل في ذلك فشريعتنا قد سبقت الى تقريره كما علم مما تقدم ولتفضيل ذلك مقام آخر

(١) نشرنا هذا في ص ٧٧ م ١٧ من المنار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تابع لما قبله

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوات متعددة وكان القتال منه في تسع مغاز مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين ، وانكسر المسلمون يوم أحد وانهزموا ثم عادوا يوم حنين ونصرهم الله ببدر وهم أذلة ، وحصروا في الخندق حتى دفع الله عنهم أولئك الاعداء وفي جميع المواطن (كان) يكون المؤمنون من أهل الصفة وغيرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلوا مع الكفار قط

ومما يظن هذا ويقوله من الضلال والمنافقين قسمان (قسم منافقون) وان أظهروا الاسلام وكان في بعضهم زهادة وعبادة يظنون أن الى الله طريقا غير الايمان بالرسول ومتابعته وان من أولياء الله من يستغني عن متابعة الرسول كاستغناء الخضر عن اتباع موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه أو عالمه أو ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم اما تفضيلا مطلقا أو في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتلهم بعد قيام الحجة عليهم فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين انسهم وجنهم ، زهادهم وملوكهم وموسى عليه السلام انما بعث الى قومه لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من الله تعالى علمكه الله لا أعلمه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» وقال الله تعالى (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) وقال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا

(والقسم الثاني) من يشاهد ربوبية الله تعالى لعباده التي عمت جميع البرايا ويظن أن دين الله الموافقة للقدر سواء كان ذلك في عبادة الاوثان واتخاذ الشركاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشفعاء من دونه وسواء كان فيه الايمان بكتبه ورسله والاعراض عنهم والكفر بهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الارض وبين المتقين والفجار، ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويجعلون الايمان والتقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان وأهل الجنة كاهل النار وأولياء الله كاعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة، بنوا على أنه توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون وأنه الحقيقة الكونية. وهؤلاء يعبدون الله على حرف فان أصابهم خير اطمأنوا به وان أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة. وغايتهم يتوسعون في ذلك حتى يجعلوا قتال الكفر قتال الله وحتى يجعلوا أعيان الكفار والفجار والاوثان من نفس الله وذاته، ويقولون ما في الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والمصنوع هو الصانع، وقد يقولون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ويقولون (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) الى نحو ذلك من الاقوال والافعال التي هي شر من مقالات اليهود والنصارى بل ومن مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوهما ممن ينكر الصانع الخالق البارىء رب العالمين أو يقولون إنه هو أو إنه حل فيه

وهؤلاء كفار بأصل الاسلام، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، فان التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا فلا نجعل له ندا في ألوهيته ولا شريكا ولا شفيعا. فأما توحيد الربوبية وهو الاقرار بأنه خالق كل شيء فهذا قد قاله المشركون الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون «الله» وهم يعبدون غيره. وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والارض وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكا مساويا له في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الانبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم يقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في الوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شركاء أو شفعاء — أو في ربوبيته بان يجعلوا غيره رب الكائنات دونه مع اعترافهم بانه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخالق

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم * وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لاشريك له والى طاعتهم والايمان بالرسل هو الاصل الثاني من أصلي الاسلام فمن لم يؤمن بأن هذا (١) رسول الله الى جميع العالمين وانه يجب على جميع الخلق متابعته وان الحلال ما أحله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين، ونحوهم من يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته اما عموما واما خصوصا ويجوز اعانة الكفار والفجار على افساد دينه وشرعته ويحتجون بما يفترونه أن اهل الصفة قالوه وانهم قالوا نحن مع الله من كان

(١) المناسب ان يقال : بان محمدا (ص)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع الله كنا معه بر بدون بذلك الحقيقة الكونية دون الامر والحقيقة الدينية ويحتج بمثل هذا من ينصر الكفار والفجار ويخفرهم بهمته وقلبه وتوجهه من ذوي الفقر ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله وان الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم وكل هذا ضلال وباطل وان كان لاصحابه زهد وعبادة فهم في العباد مثل أولياء أهل في الاجتهاد، فان المرء على دين خليله والمرء مع أحب هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

وقد جعل الله المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكافرين بعضهم أولياء بعض، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين من الاسلام مع عبادتهم العظيمة الذين قال فيهم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وفارقوا جماعة المسلمين، فكيف بمن يعتقد أن المؤمنين كانوا يقاتلون النبي صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا ما يرويه بعض هؤلاء المفترين ان اهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج وان الله أمره أن لا يعلم به أحدا فلما أصبح وجدهم يتحدثون به فأنكر ذلك فقال الله له أنا أمرتك أن لا تعلم به احدا لكن أنا الله أعلمتهم الى أمثال هذه الاكاذيب التي هي من اعظم الكفر وهي كذب واضح فان اهل الصفة لم يكونوا الا بالمدينة ولم يكن بمكة اهل صفة والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) ومما يشبه هذا من بعض الوجوه رواية بعضهم عن عمر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث هو وأبو بكر وكنت كالزنجي بينهما . وهذا من الافك المختلق، ثم إنهم مع هذا يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام بل كان كالزنجي ويدعون أنهم هم سمعوه وعرفوه، ثم كل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكفرية التي يزعم أنها علم الاسرار والحقائق إما الاتحاد وإما تعطيل الشرائع ونحو ذلك مثلا مايدعي النصيرية والاسماعيلية والقرمطية والباطنية الثنوية والحاكمية وغيرهم — من الضلالات المخالفة لدين الاسلام ماينسبونه الى علي بن أبي طالب أو جعفر الصادق أو غيرهما من أهل البيت كالبطاقة والهفت والجدول والجفر وملحمة بن عقب وغير ذلك من الاكاذيب المفتراة باتفاق جميع أهل المعرفة وكل هذا باطل، فانه لما كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم به اتصال النسب والقرابة ، وللاولياء والصالحين منهم ومن غيرهم به اتصال الموالاة والمتابعة ، صار كثير ممن يخالف دينه وشريعته وسنته يموه باطله ويزخرفه بما يفتريه على أهل بيته وأهل موالاته ومتابعته وصار كثير من الناس يغلو إما في قوم من هؤلاء أو من هؤلاء حتى يتخذهم آلهة أو يقدم ما يضاف اليهم على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحتى يخالف كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السلف الطيب من أهل بيته ومن أهل الموالاة له والمتابعة وهذا كثير في أهل الضلال

﴿ فصل ﴾ وأما تفضيل أهل الصفة على العشرة وغيرهم فخطأ وضلال بل خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب موقوفا ومرفوعا وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمة العلم والسنة وبعدهما عثمان وعلي وكذلك سائر أهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة ومع سعيد بن زيد هم العشرة المشهود لهم بالجنة وقد قال الله تعالى في كتابه (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ففضل السابقين قبل فتح الحديبية الى الجهاد بأنفسهم وأموالهم على التابعين بعدهم وقال الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان)

وقد ثبت في فضل البدريين ما تميزوا به على غيرهم وهؤلاء الذين فضلهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة، والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن أبي وقاص فقد قيل انه اقام بالصفة مرة، واما اكابر المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة ومثل سعد بن معاذ واسيد بن الحضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عامة اهل الصفة انما كانوا من فقراء المهاجرين، والانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة ولا لغيرهم

﴿ فصل ﴾ واما سماع المكاء والتصدية وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية سواء كان بكف او بقضيب او بدف او كان مع ذلك شبابة فهذا لم يفعله احد من الصحابة لا من اهل الصفة ولا من غيرهم ولا من التابعين بل القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » لم يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب

وانما كان السماع الذين يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفه وغيرهم يجتمعون عليه فكان أصحاب محمد اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أهل الصفة وفيهم قاريء يقرأ فجلس معهم، وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكل من نقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب أو انهم لما أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك أو انهم مزقوا ثيابهم أو أن قائدا أنشدهم

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي

الا الطبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال «ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم » أنشدوا شعرا وتواجدوا عليه فكل هذا وأمثاله كذب مفترى وكذب مختلق باتفاق أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الايمان لا ينازع في ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الا جاهل ضال وان كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فكله كذب باتفاق أهل العلم والايمان

﴿ فصل ﴾ وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من اهل الصفة أو غيرهم. أمر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين الذين يريدون وجهه وأن لا تعدو عيناه عنهم (تريد زينة الحياة الدنيا) وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الآية التي هي في سورة الانعام (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)

وقد روي أن هاتين الآيتين نزلتا في المؤمنين المستضعفين لما طلب المستكبرون أن يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه الله تعالى عن طرد من يريد وجهه وان كان مستضعفا ثم أمره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة وقبل وجود الصفة لكن هي متناولة لكل من كان بهذا الوصف من اهل الصفة وغيرهم والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم اولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء فلا يتقدم أحد عند الله تعالى بسلطانه وماله ولا بذله وفقره وانما يتقدم عنده بالايمان والعمل الصالح، فنهى الله سبحانه وتعالى أن يطاع(١) أهل الرئاسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وأمره أن لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وأن يصبر نفسه معهم في الجماعة التي أمر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع أمر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لأهوائهم (لها بقية)

(١) لعل الاصل : فنهى الله سبحانه وتعالى نبيه ان يطيع الخ بدليل ما عطف عليه من قوله : وامره الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

إني قد كنت عازما على أن لا أقدم الى المحكمة بيانا ما، لانها مكان لا رجاء لنا فيه، ولا طلب منه، ولا شكوى اليه، وإنما هي كمنعرج الطريق الى المنزل لا بد من قطعه للسابل، ولذا تقف فيه وقفة على كره منا، والا لدخلنا السجن توا

إن الجمعية الوطنية وجمعية الخلافة وجمعية العلماء قد أبحن تقديم بيان الى المحاكم، لا للدفاع بل لاعلام الامة بالحقيقة، بيد أني ما برحت أشير على الناس بان يؤثروا الصمت على الكلام، وأن يقاطعوا المحاكم مقاطعة تامة. وذلك لاني أرى أن كل من يقدم بيانا لدحض التهمة وكشف الحق — وان كان قصده به اعلام الجمهور — لا يسلم من الظنة، اذ يجوز أن يكون في نفسه أدنى هوى للتخلص من العقاب، أو في أعماق قلبه أقل رجاء في عدل المحاكم. مع أن سبيل «تارك التعاون» مستقيم نير، لا ينبغي أن توسخه الظنون والشبهات.

اليأس التام من العدل

إن «اللاتعاون» نتيجة لليأس التام من الحالة الحاضرة، وهذا اليأس هو الذي ألجأ الامة الى أن تغيرها، وتبدل غيرها بها، فكأن من يقاطع الحكومة ويأبى معاونتها، يعلن بانه يئس من عدلها وحبها للحق، وأنه لا يعترف بها بل يعدها حكومة غاصبة جائرة وغير شرعية، ولهذا يود اسقاطها وتحطيمها. أفبعد هذا يرجع القهقرى فينتظر منها أن تنصفه كحكومة عادلة صالحة للبقاء والدوام؟

وان غضضنا الطرف عن هذه الحقيقة الثابتة، فان السعي للتبرئة من التهمة ليس الا فعلا عبثا وانكارا للحقائق. اذ كل بصير يعلم أنه لا رجاء في المحاكم أن تنصف وتعدل في الحالة الحاضرة، لا لان رجالها لا يحبون العدل، بل لانها سائرة على نظام لا يستطيع معه حاكم أن ينصف أولئك الذين لا تريد الحكومة نفسها أن تنصفهم

واني ههنا أصرح بان خطاب « اللاتعاون » ليس مع الافراد والآحاد ، بل مع الحكومة ونظامها ومبادئها

موقف أصحاب الحق أمام المحاكم والقضاة !

إن هذه الحالة مثل سائر حالات عصرنا ليست بفذة ، فالتاريخ شاهد على أنه كلما طغت القوات الحاكمة ورفعت السلاح في وجه الحرية والحق ، كانت المحاكم آلات مسخرة بأيديها تفتك بها كيف تشاء ، وليس هذا بعجيب ، فان المحاكم تملك قوة قضائية ، وتلك القوة يمكن استعمالها في العدل والظلم على سواء ، فهي في يد الحكومة العادلة أعظم وسيلة لاقامة العدل والحق . و بيد الحكومات الجائرة أفظع آلة للانتقام والجور ومقاومة الحق والاصلاح

والتاريخ يدلنا على ان قاعات المحاكم كانت مسارح للفظاعة والظلم بعد ميادين القتال ، فكما أهريقت الدماء البريئة في ساحات الحروب ، حوكمت النفوس الزكية في ايوانات المحاكم ، فشنقت وصلبت وقتلت والقت في غياهب السجون . وليس هنالك عصبة صالحة محبة للحق من الانبياء والحكماء والعلماء والصالحين ، إلا ونراها واقفة كالجناة والمجرمين في قاعات المحاكم امام القضاة . نعم ان كر الايام ومر العشي قد محا كثيرا من مساوىء العهد القديم . فلا يوجد الآن شيء من المحاكم الرومية للقرن الثاني المسيحي. ولا جمعيات التفتيش السرية (Jnquisifon) التي كانت في القرون المتوسطة. ولكني لا استطيع الاعتراف بان عصرنا هذا قد نجا من تلك العوامل النفسية التي كانت تعمل في تلك المحاكم — حقا ان تلك الابنية التي كانت مكامن للاسرار الرهيبة قد دكت دكا . ولكن من ذا الذي يقدر ان يقلب تلك القلوب التي تكمن فيها الاسرار المخيفة لحب الذات والظلم ؟

مقام عجيب ولكنه عظيم !

ان جدول مظالم المحاكم وفظائعها طويل عريض — تلك المظالم التي لم يفرغ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التاريخ الى الآن من البكاء منها ـ فنرى فيه اسم المسيح (ص) الانسان الكامل الذي اوقف مع اللصوص في محكمة اجنبية . وسقراط الحكيم الذي اضطر الى شرب كأس السم ، لانه كان اصدق رجل في بلاده . وكذا فلورنس غيليلو الذي لم يكذب مشاهداته العلمية لانها كانت جناية في عين القضاة والمحاكم — وصفت المسيح بالانسان الكامل لاني اعتقد انه انسان . ولكن الملايين من الناس يعتقدون انه فوق هذا — اذن ما اعجب قفص الجناة ! وما اعظم شأنه ! إنه موقف الصنفين معاً : الابرار والاشرار ! حتى انه كان لائقا بهذا الوجود العظيم !

حمداً وشكراً

واني اذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه ، يسبح روحي بحمد الله ويلهج لساني بشكره من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، اذ أحسبني في هذا القفص محسوداً للملوك والسلاطين العظام ، فاين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدري ؟ ويا ليت الانسان الغافل والعاكف على هواه ، يشعر بنفحة منها ! واني أقول حقا إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثول في هذا المكان ، ولنذروا النذور لاجله !

لم أخاطب المحكمة ؟

إني كنت عازما على السكوت في المحكمة ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم في اثبات جريمتي الخطبتين اللتين ألقيتا في بعض مجامع (كلكتا) وهما لا يحتويان على جميع الامور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، والتي ان قدمت كانت انفع لمقصدها — علمت انها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذي يعتبر في هذه الايام كافيا لانزال العقاب . مع شدة رغبتها وحرصها على سجني — فغيرت قصدي وقلت ان العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له . فأردت أن أثبت بلساني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الامر الذي لا تستطيع الحكومة اثباته مع علمها به وشدة رغبتها في اثباته — واني أعلم ان قوانين المحاكم لا توجب علي، ولا تضطرني الى الاعتراف به من تلقاء نفسي. ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية. وهو الذي يسوقني الى ما سأقوله. اذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا. لان الخصم لا يستطيع اثباته

الاعتراف بالجناية

ان الاستبداد الذي ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذي يصيب الامم في طور ضعفها ووهنها. وهو من طبعه يبغض الحركة الوطنية والحزبية والمطالبة بالحقوق بغضا شديدا. لانه يعلم أنها اذا نجحت سقطت قوته الظالمة وانمحى وجوده الفاحش. وما من وجود يحب سقوط نفسه وزواله مهما يكن زواله ضروريا في عين الحق والانصاف. فالتدافع بين الحرية والاستبداد «تنازع للبقاء» و«تزاحم في الحياة» كل من الفريقين يجد ويكد للفوز والبقاء: الامة تريد أن تنال حقها المغصوب، والاستبداد يأبى عليها ولا يريد التزحزح عن مقامه، ولا التنزيب عليه، لانه — وان كان وجوده خلافا للحق — يدافع عن نفسه وحياته، وليس لنا أن ننكر مقتضيات الطبيعة، فكما يسعى الخير لبقائه، يسعى الشر أيضا، ومهما يكن ملوما في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة

وقد بدأ التزاحم في الهند بين هاتين القوتين: الحرية والاستبداد — فليس يبدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جناية في عين الاستبداد. وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وأثمة وأهلا للعقاب الشديد — فمادام الامر كذلك فاني أعلن على مسمع من المحكمة والحكومة بانني أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكابا واقترفتها اقترافا. وان كانت الحكومة لا تعلم — وهي لتعلم — فلتعلم الآن أني من اولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلوب أمتهم. ووقفوا حياتهم على سقيها وتنميتها وتثميرها. بل اني ولا فخر — أول مسلم في الهند دعا أمته من اثنتي عشرة سنة الى هذه الجناية دعوة عامة، وحول وجهتها في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينتها لها الى الحرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي قد أشرقت شمسها الآن ولن تنكسف أبدا . فان كنت آثما في زعمها فلتعاقبني بما تشاء . فها أنا ذا معترف بالجناية بصدر رحب ولسان طلق غير جزع منها ولا نادم عليها . لان هذا ما كنت أتوقعه وأعرفه من قبل !

وانى لا أنتظر من الحكومة إلا الغلظة والقسوة لاني وان ألفيتها تدعي العصمة من الخطأ والزلل ولا تعترف بذنوبها . أعلم أنها ما ادعت أبدا أنها مثل المسيح في لينه وحنانه . فاذن كيف أنتظر منها أن تقبل أعذارها وتحبهم كأصدقائها ؟ واعلم أنها لا تعاملهم الا بتلك المعاملة التي نراها منها الآن ، والتي مازال الاستبداد يختارها لمحق الحرية والحق وخنق أصحابه وحمايه — فالشدة والغلظة من الحكومة شيء طبيعي لا ينبغي لنا أن نشكو أو نعجب منه . بل على كل من الحزبين أن يعملا على مكانتهما حتى يفصل الله بينهما وهو خير الفاصلين

(ثم قال بعد هذا انه لم يقبض عليه لاجل الخطبتين اللتين قدمتا في المحكمة بل ليخلو للحكومة جو كلكتا . كيلا يقاطع احتفال ولي عهد انكلترة عند قدومه اليها . وتضعف الحركة الوطنية والاسلامية . ثم ذكر أشد ما في الخطبتين وهو ما يلي) :

أشد ما في الخطبتين

ان الحكومة التي تأسست على الظلم لظالمة وهي إما أن تتوب من ذنوبها وفظائعها وتخضع للحق وأما أن تزول من الوجود ! »

أيها الناس ! ان كنتم تتألمون لاخوانكم الذين قبض عليهم فعلى كل منكم أن يبت في نفسه الآن : هل هو راض بان تظل هذه الحكومة قائمة في بلادنا كما كانت عند القبض على اخواننا ؟

اذا كنتم تريدون تحرير بلادكم من رق العبودية فطريقته واحدة وهي أن لا تدعوا فرصة لاعدائكم المكارين لاستعمال أسلحتهم القتالة التي عندهم بغير حساب . . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن بعض الناس يظن أن الخطيب اذا فاه بمثل هذه الاقوال يحتاط لنفسه ، والا فانه بالحقيقة لا يقصد بها شيئا ، ولكني أيها الاخوان أعتقد أنه ليس فيكم أحد يحسب أولئك الذين يتعبون لاجلكم خوافين من السجن أو الاعتقال ، أو مخلصين لهذه الحكومة الظالمة في نفسها وقوتها بقولهم ان أعمالنا يجب أن تكون بالامن والنظام — لا ، لا ، ان هذا لا يتصور أبداً ، بل الحق الذي لامراء فيه أنهم يقولون ذلك لانهم يرون نجاحكم متوقفا على الامن والنظام اذ أنتم لا تملكون تلك الآلات الجهنمية التي تتسلح بها هذه الحكومة ، وانما الاسلحة التي لديكم هي الايمان والضمير وقوة التضحية — فاستعملوها في وجهها تنجحون . ، والا فلا نجاح لكم بالاسلحة المادية »

أيها الناس ! ان كنتم تريدون أن تعرقلوا الحكومة برهة من الزمان فطرقه كثيرة ، ولو كنت لا سمح الله من المحبين للحكومة لبحت بها ودعوتكم اليها ولكن الذي أريده منكم هو (الحرب الحرب) الحرب التي لاتنتهي في يوم واحد بل تمتد الى يوم الفصل ، وما أدراكم ما يوم الفصل؟ اليوم الذي إما أن تمحى فيه هذه الحكومة الجائرة واما ان تفني ثلاثمائة مليون من النفوس البشرية !

الاعتراف فوق الاعتراف

ان كانت هذه التصريحات (جناية) فانى معترف بأن قلبي قد اشتغل بها ولساني نطق بها وانى أنا الذى صرحت بها أمام عشرات الالوف من الناس ، ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد وتحصى ، بل ما برحت أقول أكبر وأشد منها ، ذلك بانى أعتقد أن الصدع بها واجب علي ولن يمنعني من أداء الواجب كونه معاقبا عليه بقانون ١٢٤ من القوانين الهندية (١) بل انى لاجدني الآن مدفوعا الى التصريح بها أمام المحكمة ولا أزال قائلا بها

(١) أن مادة ١٢٤ هذه مثل المادة ١٥١ من القوانين المصرية الخاصة بالذين يحرضون على كراهية الحكومة باي واسطة من وسائط النشر أو الصور أو الكلام أو الخطابة الخ (المترجم)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مادام لساني بين أسناني ، وروحي في جثماني – وإن لم أفعل ذلك أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله وعند الناس أجمعين !

الحكومة الحاضرة « ظالمة ! »

نعم أني قلت « ان الحكومه الحاضرة ظالمة » وان لم أقل هذا فماذا اقول يا ترى ؟ وأيم الله اني لاعجب كيف يطلب مني أن أسمي شيئا بغير اسمه وأن أدعو الاسود بالا بيض ؟

ان ما قلته هو اهون ما يجب ان يقال في هذا الباب ، اذ لا اعلم حقيقة ملفوظة اخف منه

لا ريب أني ما زلت اقول انه ليس الا ان تتوب الحكومة من آثامها وتغير خطتها وترجع عن ظلمها فان لم تستطعه فبعداً لها وسحقا ! وليت شعري ماذا يقال غير هذا ؟ الشر اما ان يصلح واما ان يزول ، وهل بينهما طريق آخر ؟ ان هذه الحقيقة قديمة العهد طويلة العمر لا يضاهيها في الكبر الا الجبال والبحار واني ما دمت اعتقد ان هذه الحكومة من اولها الى آخرها شر على شر فكيف استطيع ان ادعو لها واقول : دومي ولا تصلحي

لماذا أعتقد هذا ؟

لماذا اعتقده انا وملايين من ابناء وطني واخوان ديني ؟ الجواب اصبح الآن واضحا جليا حتى يصح ان يعبر عنه بقول الشاعر الانجليزي (ملتون) : انه بعد الشمس اوضح شيء واجلى محسوس . على اني اصرح ههنا بأني اعتقد ذلك لاني هندي ولاني مسلم ولاني انسان

الحكم الشخصي ظلم بالذات

اني أعتقد أن الحرية حق طبيعي لكل انسان ولكل أمة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها – وليس لشخص أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خولا – وسم الاستعباد والرق بأي اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومشيئة الله وناموسه خلقه وبنفيه ، واني لاجله لا أعرف بالحكومة الهندية الهندية ، بل أعدها حكومة غير شرعية ، لانها مستبدة طاغية ، استعبدت البلاد وقهرت العباد ، داست الشرائع وخانت المواثيق ، ليسخطها الشعب ويمجها الحق ، فهي معدومة في نظر الامة وان كانت موجودة بقوة السلاح ، وأرى واجباتي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بأن أحرر بني جلدتي من رقها وعبوديتها الشائنة .

ولا يقاطع كلامي « بالاصلاحات الادارية » و « الترقي التدريجي » كلمات خطتها الحكومة وزخرفتها الشاعر به البله والحمق — أما أنا فلا أخدع بها ، إذ الحرية في اعتقادي حق طبيعي للانسان ، وليس لاحد أن يحدد ويقسم في تأدية الحقوق ، ومن مثل الذي يقول ان أمة تنال حريتها تدريجا كمثل الذي يقول للدائن يرد اليك الدين اقساطا قسطا ، نعم ان لم يستطع أخذه دفعة واحدة يضطر الى قبوله بالاقساط ، ولكن لا يسقط به حق الاخذ مرة واحدة

« الاصلاحات » وما هي « الاصلاحات ؟ » وان هي الا كما قال الفيلسوف الروسي تولستوي : أن أبيح للمسجونين انتخاب سجانهم بالاصوات ، فانهم لا يصيرون به أحرارا »

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة ؟ سؤال ثانوي ، أما السؤال الاساسي فهو : هل وجودها حق وشرعي ؟ فاني أعتقد ان مثل هذه الحكومة الاجنبية المتسلطة ، باعتبار أصل خلقتها غير شرعية ، لان نفس وجودها ظلم وشر ، فهي لو لم ترتكب جميع تلك الفظائع التي ارتكبتها بهذه الكثرة ، لكانت في اعتقادي ظالمة وجائرة ، ويكفي لقبحها وشناعتها أنها موجودة — نعم نعترف بحسناتها ان كانت لها حسنات ، ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعي — ومثاله أن لو تسلط أحد على بيتنا وأدارها إدارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه حقا وشرعيا

— ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالكم والكيف ، فنقول « كم هو وكيف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو؟» ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسن والقبيح، فلا تقول «أحسن هو أم قبيح؟» ثم يقال «سرقة قبيحة» و«سرقة أقبح» ولكن لا يقال «سرقة حسنة» و«سرقة قبيحة» وهكذا الاستبداد، فاني لا أستطيع ان أتصوره حسنا وشرعيا في حال من الاحوال، لانه بذاته ووجوده قبيح وشر وغير شرعي ثم ربما يوجد نوع من الاستبداد أخف وطأة وأقل ظلما وأكثر ليناً من غيره، ولكن الاستبداد الذي ذم الهند لم يقف عند قبحه الخلقي، بل مازال يكتسب السيئات فوق السيئات، والمنكرات تلو المنكرات، ظلمات بعضها فوق بعض، فاذن كيف لا يعلن ظلمه ولا يشهر قبحه، ولا يشدد النكير عليه؟ للكلام بقية

ابتداب العرب في سويسرة

في القرون الوسطى

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب ارسلان الشهير

آثار العرب في سويسرة

لم تزل للعرب آثار كثيرة في سويسرة منها برج السارازين (لا يخفى أن لفظة سارازين كان يطلقها الافرنج على المسلمين في القرون الوسطى واختلفوا كثيرا في أصل هذه الكلمة وكيفية اشتقاقها وقرأت في رحلة ابن بطوطة أن الملك الرومي الذي كان في القسطنطينية سأله هل أنت عربي كنوا؟ قال وهذا اللفظ معناه المسلم بلغتهم) وهو برج بقرب بلدة فيفاي بجوار (مونترو) من مقاطعة (لوزان) ومما ينسب اليهم مغارة وكهف في جهات لوستسن وقال بعض المؤرخين ممن نقل عنه كارة من المحقق أن عصائب العرب زحفت الى (الجورة) وبحيرة جنيف وانه لم يوجد من مؤرخينا من يذكر دخولهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى روراسيه) وكانت كتبنا صامتة عن ذلك — فالتواتر ورواية الاخلاف عن الاسلاف متصلة بالسند تقومان مقام ذلك ، وكثير من أسماء هذه البلاد تدل على وقوع هذه الغزاة

وعلى نصف ساعة من دفليه في الجبل من جهة الشمال الغربي على مقربة من الطريق الروماني المؤدي من دليمون الى آجوا يوجد مضيق بين جندلين اسمه كهف (السارازين) . وشيوخ دفليه يروون عن آبائهم واجدادهم خلفا عن سلف أن هذا المكان كانت أقامت فيه شرذمة من (السارازين) كانوا يوردون جمالهم (يظهر أنه أينما تكون العرب تكون الجمال ولو في قلب أوربا) ماء سورن بقرب كورتتل — وهذا اسم طريق روماني مهجور الآن ثم على أحد صخور غار السارازين عدد ٢٣ منقورا نقرا غريبا بأرقام عربية ولا يعرف السبب في نقر هذا العدد خاصة لانقطاع سند التواتر وعدم وجود تاريخ لذلك وانما المعروف أن العرب كانوا مقيمين هناك دركا . ثم انه بقرب روسميزون تجاه جبل شبوت يوجد طريق اسمه طريق السارازين

ثم انه يوجد في بلاد البيامون ووادي ساس في الجبل طريقان أحدهما يمر من فوركنتل مخترقا ممر أنترونه والثاني يمر من مونتومورو أي جبل المورو — وهو المسلم المغربي في عرف الافرنج — وكل من المضيقين كان الى سنه ١٤٤٠ يقال له الممر القديم ويقول فرديناند كار نقلا عن المؤرخين انه مما لا يجوز أن ننساه أن المعاهدة التي عقدها الملك هوغ كونت بروفانس مع العرب كان من جملة شروطها سد جميع المضايق والثنايا الا ثنية سان برنار فقط ، فلذلك ترى هناك محلا اسمه « الماجل » وهو بدون شك محطة بريدية ، وتجد في وادي ساس مكانا يسمى « ألالاين » وهو « العين » وهناك ماء على الطريق في أعلى الوادي كما أن في شرقي الوادي عين ماء اسمها Eienapl أي عين الالب

وفي غربي وادي ساس محل اسمه ميشابل وهو حسبما يظن الاستاذ هيتسيغ محرف عن « مشبل » أي اللبوة التي معها اشبالها بدليل أن هناك غربي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ممرسيميلون جبلا اسمه جبل الاسد . ونحن نظن أن الاسم هو مشابل كما يلفظونه الآن لا مشبل ، وهو جمع مشبل اسم مكان كقولك مأسدة ، أو هو مشابيل جمع مشبول ، ومكان مشبول كثير الاشبال

ومن أكثر الاشياء في تلك الجهات التي جال فيها العرب اسم « مورو » الذي هو كما تقدم اسم المغربي عند الافرنج لان الرومان كانوا يسمون المغرب الاقصى «موريتانيه » فمن ذلك جبل مورو الذي عند فراكسينة وعليه قصر من آثار العرب ويوجد ممر اسمه موروباس في ناحية ماكوغناغه في البيامول. كذلك في واد يقال له وادي انزا (ولعله وادي العنزة) محل يقال له «سيما دلمورو» أي قنة المغربي وهو الى الشمال من بريسبنون وفي جبل سان برنارغربي الدير الشهير قنة شاهقة اسمها مونتمور

وما عليه اسم « سارازين » شيء لا يكاد يحصى ، ذكر المسيو ادوارد كارك في تاريخ ولاية «فرانش كونته » بفرنسة أن الاسماء المضافة الى سارازين كثيرة في تلك الولاية قال : عندنا خمسة كهوف يسمى كل واحد منها بكهف السارازين وجسران اسم كل منهما جسر السارازين . وثلاثة قصور كل منها يقال له قصر السارازين . وطريقان كل منها منسوب الى السارازين . وسد طاحون منسوب الى السارازين . وواد صغير يسمونه وادي السارازين . وجندلان كبيران كل منها يقال له صخر السارازين . وباب يرفع وينخفض من آثار السارازين ، وقرية اسمها ساراز. وهناك أيضا حائط السارازين ومعسكر السارازين الخ وأمثال هذه الاسماء يجدها الانسان في مقاطعة بريس وفي الليونه فمن ليون الى حدود فرنسة الجنوبية تكثر الابواب التي ترفع وتحط امام القلاع وكلها منسوبة الى السرازين

ويقول هؤلاء المؤرخون الذين أثرنا عنهم ما تقدم من تاريخ العرب في سويسرة انه كان للعرب قدرة بالغة على البناء وتشييد الابراج وتحصينها وإحكام اقفالها وقد تركوا آثارا بديعة مدهشة ففي ايطالية وغربي سويسرة لا تزال جدران كثيرة مبنية بالحجارة الكبرى من بناء العرب ، وفي كل بناء تركوه ظهر أنهم أهل هندسة وقوة حيلة يعجب بها كل من تأملها فتركوا بهذه الآثار ذكرا عظيما بين الاهالي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم انه قد وجدت في سويسرة مسكوكات كثيرة عربية واكثرها من مسكوكات الاسلام في افريقية منها ضرب سنة ١٦٩ للهجرة ومنها ضرب ١٨٢ للهجرة واكثرها من عصر هرون الرشيد وقسم منها مضروب في القيروان ، ويظن أن اكثر هذه النقود وصلت الى سويسرة بواسطة النورمانديين وكذلك وجدت في بلدة فودون من سويسرة مسكوكات منها من سنة ١٧٠ للهجرة مضروب في افريقية ومنها ضرب اسماعيل بن احمد في أيام الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣ للهجرة ومنها ضرب في بغداد سنة ٣٦١ هجرية مكتوب على بعضها من الوجه الواحد «لا إله الا الله وحده لاشريك له . ركن الدولة أبو علي بويه . ومن الوجه الآخر : باسم الله قد ضرب هذا الدرهم في مدينة السلام عام ثلاث مائة وأربع وستين . ووجد على بعضها : محمد رسول الله ، الطائع لله الملك العادل عضد الدولة أبو شجاع . ويظن أن هذه المسكوكات وصلت بواسطة الحروب الصليبية أو عن طريق التجارة

ومما وجد من آثار العرب في سويسرة ثوب حريري مطرز في دير بقرب (شور) يستعمله القسوس في القداس عليه كتابات عربية مطرزة بالقصب ولا شك انه قبل أن يصير ثوبا كنسيا كان خلعة ملوكية أو حلة لاحد الامراء وقد أتى المسيو سلنسر دوساسي في كتابه المنتخب من تآليف العرب في الصفحة ٣٠٥ على بحث دقيق يتعلق بهذه المنسوجات العربية الفاخرة فقال ما ترجمته

« عرفنا منسوجات كثيرة من هذا النوع الذي يسميه ابن خلدون بالطراز منها المعطف الذي كان يلبسه قياصرة ألمانية عند تتويجهم فهذا الرداء عليه كتابات عربية منسوجة بخيوط ذهبية وقد قرأها وترجمها المسيو تيشن فظهر انه نسج في بلرم في دولة الملك روجر (والعرب يقولون رجار) سنة ٥٢٨ هجرية أي ١١٣٣ ميلادية ونجزم بانه في أيام رجار لان الكتابات ليس فيها شيء من آثار الدين الاسلامي . ومنها قطعة حريرية مطرزة بالذهب محفوظة في خزانة ذخائر كنيسة (نوتردام) الكبرى بباريز بديعة الصنع مكتوب عليها اسم الخليفة الحاكم بامر الله المتوفى سنة ٤١١ للهجرة . ثم قطعة ثالثة شبيهة في النفاسة بالثانية وجدت في ضريح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدير سان جرمان المروج عليها كلمتان عربيتان مكررتان مرارا . كذلك في مؤلف ظهر على آثار بلرم باللغة الايطالية طبع في نابلي سنة ١٨١٤ مذكورة كتابة عربية وجدت على اكمام القميص الذي وجد في ضريح الامبراطور فريدريك الثاني المتوفى في ١٣ ديسمبر سنة ١٢٥٠ كذلك يذكر المسيو (دومور) سجادة عليها كتابة عربية نسجت في مصر في زمان الخليفة المستعلي بالله وذلك يكون بين سنة ١٠٩٤ه وسنة ١١٠١ الميلاد وهذه السجادة هي في خزانة آثار الفاتيكان الآن (أي في زمان دسامي وهذا عاش بين سنة ١٧٥٨ وسنة ١٨٣٨)

قد نقلنا كثيرا من هذا التاريخ عن المسيو رينو الفرنسي وهو من المستشرقين المشهورين كان عضوا للمجمع الملكي للآثار والآداب وأحد حفظة الكتب الشرقية المخطوطة في مكتبة باريز الملوكية وتأليفه المسمى غارات العرب في جنوبي فرنسة وفي البيامون (شمالي ايطالية) وفي سويسرة طبع بباريز سنة ١٨٣٦ وقد طالعنا منه نسخة في مكتبة منيخ عاصمة البافيار وذلك سنة ١٩٢٠

وأما المؤرخ الالماني الذي اعتمد عليه (فرديناند كلر) فهو (ليودبراند) المؤرخ الشهير القديم العهد ولد سنة ٩٢٢ في لومباردية من أصل شريف ونشأ في بلاط الملك هوغ المار الذكر في بافيار سنة ٩٤٥ وعندما نفى الملك هوغ دخل (ليود براند) في خدمة (برانجر) خلفه وقد سفر لبرانجر هذا الى ملك القسطنطينية وكانت وفاته سنة ٩٧٠ والف كتابين باللاتينية أحدهما اسمه «معالي الامبراطور أوتون الكبير » والثاني اسمه « سياحتي الى القسطنطينية » ملاه هزؤا بدولة بيزنطية وصنف كتابا اسمه « الانتقام » كله نكات ونوادر على أبناء عصره . وفي زمانه كانت وقائع العرب في سويسرة

هذا ما اتصل اليه علمنا من تاريخ اقامة العرب بسويسرة ، أو بالاحرى « انتداب » العرب لادارة تلك البلاد في القرن العاشر . فان قيل انك تعرض بما تسميه دول الحلفاء اليوم انتدابا على سورية وفلسطين والعراق وهذا لا يشبه ذاك أجبنا انه لا يوجد أدنى فرق بين الانتدابين ، فاذا كان العرب سفكوا دماء بسويسرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهو ولا شك أقل جدا مما سفكه الحلفاء في سورية والعراق واذا كان أخذوا جماعة بثأر واحد فالحلفاء لم يتوقفوا دقيقة واحدة عن تدمير قرى بتمامها ورمى القنابر الديناميتية على النساء والاطفال والعاجزين وحصد رؤوس الالوف لاجل الانتقام من عمل رجل واحد أو عصابة مؤلفة من بضعة رجال وان قيل ان العرب في سويسرة سلبوا ونهبوا فهل اذا تأمل المنصف ادارة الحلفاء في البلاد الشرقية التي احتلوها وما جمعوه منها من الذهب وما وزعوا من الاوراق المالية بدون ضمان وما حملوا الاهلين من المغارم وما استأثروا لانفسهم من معادن البلاد وأصناف مرافقها يجد شيئا غير السلب والنهب ؟ وزد على ذلك شيئاوهو أن العرب لم يخدعوا أهل سويسرة في القرون الوسطى بقولهم انهم حلفاؤهم وانهم إنما جاؤهم لتحريرهم من رق الاجانب حتى اذا انكشف الغطاء عرفوا انها خدعة وظهرت الذئاب من تحت أصواف الحملان كلا كان عمل العرب في سويسرة أشرف وأبعد عن اللؤم ولم يكونوا مع ذلك دولا عظاما بل شرذمة صعاليك لا يعيبهم مايعيب الدول العظام (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

شكيب أرسلان

في ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢

(المنار) إننا نود لو يكون للقراء من العبرة بهذه الاثارة من تاريخهم ماهو في نظرنا أهم من المقارنة التي ختمها بها الامير الكاتب مراعاة لمقتضى الحال. وهي المقارنة بين أحوال الامة في طور حياتها واقبالها، وطور ضعفها وادبارها. تتقاذف الامواج برهط من صعاليك العرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين فتلقيهم بسواحل بلاد لا يشاركهم أهلها في لغة ولا دين، ولا تربطهم معرفة ولا عهد، فيكون من أمرهم وأمر شراذم تتبعهم ماستخرجه لنا الكاتب من أسفار تواريخهم من عزة ومنعة، وتمكن في الارض، وقتال أو اجارة للامراء والملوك، وفرض الضرائب والمكوس، واقامة للصروح والحصون، - ثم يكون من أمر هذه الامة أن يذل ألوف الالوف منهم في عقر دارهم، ويسلمون قيادهم فيها لاعدائهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باختيارهم ، حتى يكون من مثل أمير الحجاز تلك البلاد المقدسة التي تحترمها الدول الكبرى ولا تدنو منها بسوء أن يقترح باختياره على الدولة الانكليزية أن تنتزع البلاد العربية حتى المقدسة من الترك وتجعلها تحت حمايتها ـ وأن يكون هذا الاقتراح في الوقت الذي كانت فيه هذه الدولة تتوقع محو اسمها من الدول العظمى بقوة الحلف الالماني التركي حتى لو أجمع العرب أمرهم واقترحوا عليها الاعتراف باستقلالهم المطلق ومساعدتهم عليه ولو في مقابلة عدم مساعدة الترك عليها ـ فضلا عن مساعدتها على الترك ـ لقبلوا شاكرين (فاعتبروا يا أولي الابصار)

باب المراسلة والمناظرة

جاءتنا الرسالة الآتية في مسألة تسويد النبي (ص) في العبادات المشروعة ومسألة التوسل فننشرها مع الوعد بنشر ما يجيئنا من رد عليها تراعى فيه آداب المناظرة

(إماطة اللثام ، عما علق بأذهان بعض المنتسبين الى العلم من الاوهام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله الهادين المرشدين « أما بعد » فانا نحرر هذه الرسالة قياما بما أوجبه « الدين النصيحة » في الكشف عن مسألتين خلط فيهما بعض من ينتسب للعلم (الاولى) راجعة الى الاحكام (والثانية) راجعة الى العقائد

موضوع الاولى (تسويد) النبي صلى الله عليه وسلم وقضاؤنا فيها أن من أتى بها في الصلاة أو في الاذان أو في دعاء مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم على أن تكون من شرع الله ودينه فهو مبتدع ، وفي الاوليين مبطلة لها ، وفي الثالث مكروهة كراهة تحريم وقد رأينا أن نجري على ما كان عليه المهتدون الاولون في الارشاد فنقدم الادلة على هذه الامور الثلاثة . التسويد في الصلاة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما بعدها تطبيقا للفروع على الاصول وان كانت أحوال المناظرة وقوانينها تقضي على المثبت بأقامتها لا علينا كما هو معروف عند الاصوليين وسواهم ان المثبت لامر هو المدعي المطالب بأقامة الادلة على دعواه أما النافي فيكفي أن يقول لم يرد ونحوه فنقول :

إن مرجع الاحكام الى واحد من أربعة أمور أو خمسة على الخلاف في الاستحسان والمصالح المرسلة (١) كتاب الله (٢) صحيح السنة أو حسنها أو ضعيفها فيما يتبع العبادة المعروفة عندهم بفضائل الاعمال الخالي عن ورود شيء فيه من النوعين الاولين (٣) الاجماع بأنواعه ولا سيما الثابت عن الصحابة (٤) القياس الصحيح فيما لا نص فيه « دع الاستحسان والمصالح المرسلة » أما الكتاب فلا تعرض لها فيه اذ لم يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم الا مجردا عنها وأما السنة فهي ناطقة هنا لان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الما ذكرت بعد التشهد على اختلاف الروايات فيها حال تعليم النبي صلى الله عليه وسلم اياها للصحابة خالية من تسويده ، وكل من الاذان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم توقيفي ثابت بعد كماله ولم يذهب أحد من الاربعة ولا غيرهم من علماء المسلمين متقدميهم ومتأخريهم الى جواز ذكرها في الاذان ولا في الاقامة ، وأما بعد التشهد فالكثيرون أو الاكثرون على عدم جوازها كما سيأتي بيانه بعد متصلا

لا يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تركها تواضعا — فلها لو وجبت أو شرعت ولو استحبابا أو جوازا لوجب على النبي (ص) تبليغها أو جاز ولا لم يؤد وظيفة البلاغ كما أمره الله تعالى بقوله (بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية خصوصا وانه في مقام البيان بعد سؤال الصحابة (رض) عن كيفية الصلاة عليه المشروعة بقوله (ان الله وملائكته) الآية . رواه مسلم وغيره . وايضا فهي مخالفة لقوله (ص) « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري ولقد فهموا رضي الله عنهم ما أراده ونعم ما فهموا ، ولذلك امتنعوا عن الاتيان بها ولو كانت غير مبطلة فضلا عن كونها مندوبة كما يزعم البعيد عن معنى كونه (ص) مشرعا وكونهم ممتثلين كما فهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاتيان بها وهم أفضل الامة وأكثرها أدبا وقدرة لمن بعدهم الى يوم القيامة وان اتفاقهم على عدم الاتيان بهامن غير انكار أحد منهم على أحد مع ماهو معروف عنهم من اكباره (ص) واجلاله لهو أبلغ اجماع على عدم الاتيان هذا وقد روى النسائي عن عبد الله بن الشخير (رض) انه قال انطلقت في وفد من بني عامر الى رسول الله (ص)فقلنا أنت سيدنا فقال رسول الله (ص) « السيد الله » قلنا وأعظمنا وأفضلنا قال «قولوا بقولكم أو بعض قولكم أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي رفعني الله عز وجل » فهذا الحديث صريح في نفيها من وجهين الاول دلالة الفحوى فانها أحدى طرق القصر وذلك قوله السيد الله فانها جملة معرفة الطرفين مفيدة للحصر ولهذا وقع الرد بها في القرآن ردا على الحصر بانما في قوله تعالى: ألا إنهم هم المفسدون » رداً لقولهم (انما نحن مصلحون) وأمثال هذا كثير : الوجه الثاني بالمنطوق وهو قوله (ص) ما أحب أن ترفعوني الخ ومنزلته بالحصر« محمد رسول الله »وقوله (ومامحمد الا رسول) وأمثال هذا

فقد تبين من هذا أن كلا من الكتاب والسنة والاجماع يمنع الاتيان بها ولا يجترىء مسلم على القول بان الصحابة (رض) اجتمعوا على منكر وهو ترك شيء من الدين،وبهديهم اهتدى التابعون لهم باحسان فمن بعدهم حتى دب الفساد في المسلمين ، وغلبت الاهواء على أئمة الدين ، فجاؤا بالاستحسان والمصالح المرسلة فزلزلوا سلطان الدين من النفوس(١) حتى صار لا يسمع الا قول فلان وفلان وصار الدين وضعا فكريا لا وضعا الهيا

وأما القياس فهو بنفيها أشبه وان لم تكن اليه حاجة بعد النصوص لانه انما يستدل به فيما لانص فيه وقد قدمنا النصوص من الكتاب والسنة والاجماع .

(١) المنار : ان مراعاة المصالح المرسلة في الاحكام الشرعية قال بها الامام مالك وهو عنده خاصة بالمعاملات القضائية والسياسية دون العبادات التى جعل مدار اثباتها على الاتباع المحض وهو الحق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومع ذلك فهو قاطع في نفيها والمورد على ذلك بعض الامثلة: لايجهل أحد أن أفضل ماينطق به لسان هو القرآن الكريم وقد أجمعوا على أنه لو أتى به في ركوعه أو سجوده كان مخالفا للسنة وقد روى مسلم في صحيحه ان رسول الله (ص) رفع ستر حجرته في مرضه الذي مات فيه فاشرف على الصحابة وهم متأهبون للصلاة فقال «نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجداً» ولا يقال انه نهى عنه لاطالة الركوع والسجود لان كثيره وقليله سواء في النهي ولانه لو أطالهما بالتسبيح بعقد سورة البقرة ولاسيما في النوافل لما بطلت صلاته، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ في ركعة واحدة البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم كان سجوده قريباً من ركوعه المذكور» رواه مسلم. فالسيادة التي ليست بذكر ولم ترد في شيء مما تقدم من الادلة ولى بالمنع

مثال آخر: قال الامام النووي في شرحه حديث كيفية تعليم النبي (ص) للصحابة (رض) أن يصلوا عليه ما حاصله: ان قول القائل في الصلاة ورحمت قبل وباركت أو بعدها غير جائز وان وردت في حديث غريب لان العبادة لايؤخذ فيها الا بالحديث الصحيح أو الحسن الخالي عن علة كالغرابة ونحوها اه

فالسيادة أولى بالمنع لعدم ورودها ولافي حديث موضوع بل ورد النهي عنها كما تقدم في حديث النسائي فهي إحداث محض في الدين (١) مردودة على محدثها

---

(١) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد (ص) وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»

وقد عرف الامام الشافعي رضي الله عنه البدعة بما نصه (ماأحدث وخالف كتاباً أو سنة أو اجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة) وقد بينا أن تسوية النبي (ص) في الصلاة والأذان والدعاء المأثور لم يرد في واحد من الاربعة التي ذكرها الشافعي في تعريف البدعة اه من حاشية الأصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد — وفي رواية. من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» مسلم عن عائشة (١)

هذا مايتعلق بها من حيث الاصول الاربعة المعول عليها . ولنرجع اليها من حيث الفروع فنقول : مذهب الشافعي أن كل كلام أجنبي أي غير مشروع مبطل للصلاة ولو حرفا مفهما أو حرفين وان لم يفهما . وقد تبين مما تقدم أنها كلام أجنبي بالمعنى المذكور والقول بالبطلان ليس بدعا منا بل هو قول المحقق الطوسي من أئمة الشافعية وقد نقل هذا العلامة الكردي المدني في حاشيته على شرح ابن حجر الهيتمي قال مامحصله : اختلف في تسويد النبي (ص) عقب التشهد فقيل بجوازه تأدبا وقيل بكراهته وقيل بحرمته وقال الطوسي من أئمتنا انها مبطلة . قال الكردي بعد هذا ولعل الطوسي غلط اه وقد تبين مما تقدم أنه الحق وأما تغليطه اياه فهو مبني على ماقدمه من جوازها تأدبا وعلى ماقاله بعض المتأخرين من الشافعية وهم شذوذ بالنسبة الى المتقدمين لان القول بجوازها تأدبا يؤدي الى رفع الادب عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وهو مالا يجتريء على القول به ذودين

هذا ولم يقل بجوازها أحد من الائمة الاربعة ولم ينقل عن أحد من أصحابهم القول بالجواز . هذا مايتعلق بها من حيث الفروع والاصول . وان فيه لمقنعا لمريد الحق المنصف

مسألة التوسل

والمسألة الثانية من الرسالة موضوعها ما ادعاه بعض من انتمى الى العلم من سنية التوسل مرتكنا فيه على حديثين أحدهما «اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك» الثاني مما ورد في تفسير الكلمات التي تلقت آدم أو تلقاها في قوله تعالى

(١) اللفظ الثاني انفرد به مسلم ورواه احمد أيضا وأما الاول فمتفق عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(فتلقى آدم) الآية وانا نتكلم على كل من الحديثين ثم نفصل المسألة من حيث المنقول فيها عن الائمة بالايجاز فنقول في شرح الحديث الاول * وخير مافسرته بالوارد * جاء من حديث معاذ عند مسلم ماملخصه « ان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئ وان حقهم عليه اذا هم فعلوا ذلك الا يعذبهم » فمعنى حق السائلين أي العابدين المخلصين في عبادتهم كما يؤخذ من الحديث هو أن تشملهم رحمته وحينئذ يرجع معنى الحديث الى ان رسول الله (ص) سأل الله أن يدخله في رحمته لانه خير عابد مخلص بصفة من صفاته الذاتية وهي الرحمة المبينة في حديث « ان رحمتي سبقت غضبي » وسؤال الله بصفة من صفاته لا شيء فيه وليس هو توسلا بذات مخلوق أو عمله بل هو سؤال بجزاء على عمل الانسان نفسه في مقابلة عمله كما يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ « اذاهم فعلوا ذلك » فاذا كان معنى الحديث ماقدمناه لم يدل على سنية مازعم من التوسل ولا على جوازه. وانا ننقل عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم خصوصا أئمة المذاهب الاربعة وأصحابهم عدم الجواز

رأي أبي حنيفة واصحابه

قال ابو حنيفة واصحابه لايجوز أن يسأل بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال ابو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي بعد أن ذكر ما تقدم ما نصه : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة انه قال لاينبغي لاحد أن يدعو الله الا به ، وقال أبو يوسف اكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام وقال القدوري المسألة بخلقه لاتجوز لانه لاحق للخلق على الخالق فلا نجوز وفاقا وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رأي الشافعية

في فتاوى أبي محمد العز بن عبد السلام مانصه: لايجوز سؤال الله بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم: ثم قال: وأتوقف في جوازه بنبينا (ص) لاني لا أعرف صحة الحديث فيه، والحديث الذي يشير اليه هو« توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم»(١) حديث باطل باتفاق الحفاظ، ونقل ابن القيم ان الدعاء عند القبر والصلاة عنده والتمسح به لانه قبر فلان الصالح بدع منكرة باتفاق أئمة المسلمين. وان ماينقله بعض الجهلة من دعاء الشافعي عند قبر أبي حنيفة كذب ظاهر اه: ونقل الثوري عن الشافعي مانصه أكره أن يعظم مخلوق واصطلاحه في مثل هذه العبارة معروف وهو التحريم، ولم ينقل عن مالك وأحمد في المسألة شيء سوى السلام على النبي (ص) وصاحبيه (رض) لمن وجد عند القبر، بل نقلت موافقتهما لغيرهما من الائمة كما تقدم عن القدوري وابن القيم اه الكلام على أحد الحديثين

وأما على الثاني فقد قال السيوطي في تفسير الكلمات من قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه فقال. أسألك بحق محمد الاغفرت لي، فأوحى الله اليه ومن محمد؟ فقال. تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله، فعلمت انه ليس أحد أعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك» رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي وابن عساكر والحاكم وانفرد الاخير بتصحيحه اه يرويه جميعهم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر

(١) المنار الذي نجزم به ان سلطان العلماء لايخفى عليه أن هذا الحديث موضوع وانه انما عنى حديث الاعمي والرواية التي تدل على مذكر من رواياته ضعيفة كما حققه شيخ الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن الخطاب يرفعه ولم يتابع السيوطي عليه أحد من المفسرين بالمأثور كابن جرير والحافظ ابن كثير وغيرهم وهو شأننا أن نقتل أقوال أولئك العلماء في تفسير الآية لاحتجنا الى عدة أوراق ولكن نكتفي بأنهم أهملوا ما قال السيوطي - واسناد الحديث في الطبراني الصغير هكذا: عن محمد بن داود بن اسلم الصوفي المعري عن احمد بن سعيد المدني الفهري عن عبد الله بن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال الطبراني لا يروى عن عمر الا بهذا الاسناد تفرد به احمد بن سعيد اه

«ملحوظة» (اتفق المحققون العلماء على عدم الاحتجاج بالحديث اذا روي بالعنعنة المحضة (١) كالاسناد الذي من معنا اذ لم يصرح بلفظ التحديث أو الاخبار أو السماع من طريق أخرى وقد صرح الطبراني انه لا يروى الا بهذا الاسناد كما تقدم عنه)

قال البيهقي (وهو أحد رواته. تفرد به عبد الرحمن اه) يريد بذلك انه شاذ كما أراد الطبراني بإحمد بن سعيد وقال بعضهم تعليقا على تصحيح الحاكم ليس كل ما صححه الحاكم مقبولا وقال المدارسي في هذا الحديث بخصوصه في كتابه (كشف الاحوال في نقد الرجال) إن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاق وقال العلامة احمد بن ناصر الحنبلي في كتابه (تقريب التهذيب) جوابا لسائل سأله عن تصحيح الحاكم لهذا الحديث انه من رواية عبد الرحمن بن زيد: يعني ليس بصحيح وقال احمد بن حنبل: عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ضعيف وقال يحيى بن معين. ليس حديثه بشيء. وضعفه علي بن المديني جدا وهو أمام الحفاظ في عصره صاحب تآليف عديدة في الجرح والتعديل. وقال ابو داود صاحب السنن أولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي من أصحاب السنن ضعيف وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول. ذكر رجل لمالك حديثا فقال من حدثك فذكر اسنادا منقطعا فقال مالك اذهب الى عبد الرحمن بن

(١) المنار: لا يصح هذا على اطلاقه بل هو مقيد بعنعنة المدلسين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زيد يحدثك عن أبيه عن جده عن نوح (ومالك هو الامام الجليل) وقال أبو زرعة أحد الحفاظ الذين يروي عنهم البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن في شأن عبد الرحمن انه ضعيف ، وقال ابو حاتم الحافظ المعروف : ليس عبد الرحمن ابن زيد بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا اه

وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك اه

وقال ابن سعد صاحب الطبقات في شأنه ، كان كثير الحديث ضعيفا جدا اه وقال ابن خزيمة ، ليس عبد الرحمن ممن يحتج أهل العلم بحديثه اه وقال الحاكم وابو نعيم وهو الراوي للحديث روى عن أبيه أحاديث موضوعة اه وقال الحافظ بن الجوزي الناقد للاحاديث أجمعوا على ضعفه اه

فهذا الحديث الذي يتمسك به جهلة المرتدين في جواز التوسل قد بينا شأنه وأقوال العلماء فيه وكان يصح لهم ذلك لو لم يعارضه اتفاق المسلمين كما نقلناه عن الائمة على عدم جواز التوسل فضلا عن سنيته نسأل الله التوفيق والاهتداء بما جاء عن خير الامة والمهديين بسنته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه آمين

تحريرا بالعلاقه في ٤ شوال سنة ١٣٤٠ هـ احمد عطيه قوره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني)

رينان كاتب بليغ من كتاب الفرنسيس وملاحدتهم اشتهر اسمه في مصر وبعض البلاد العربية الاخرى بخطاب (محاضرة) موضوعه (الاسلام والعلم) وجه به قوة فصاحته وبلاغته الخلابة الى الطعن في الدين الاسلامي والامة العربية لينقض بها ماشاده علماء فرنسة الفلاسفة الاعلام وغيرهم من التاريخ المجيد للعرب والاسلام، وفي مقدمتهم الفيلسوف الاجتماعي الكبير (غوستاف لوبون) صاحب كتاب (حضارة العرب) الذي سارت بذكره الركبان والعلامة (سديو) الشهير صاحب كتاب (تاريخ العرب) ولكنه تكلم بجهل وتكلموا بعلم

وقد كان من مثار العجب للناس ان الجامعة المصرية أقامت حفلة حافلة لذكرى رينان بمناسبة انقضاء قرن من عهد ولادته وحاروا في استنباط الباعث لاساتذة الجامعة على اختيار هذا الملحد الطاعن في دين الاسلام وفي المسيحية أيضاً للاشادة بذكره واعلاء قدره على عدم حفظ أي منقبة له نفع بها البشر فأصاب هذه البلاد وهذه الامة حظ منها يستحق بها ذلك عليها، والعهد قريب باحتفال فرنسة وغيرها بذكرى عالم من علمائها بل من أكبر علماء الارض ومكتشفيهم نفع البشر كلهم بعلمه واكتشافاته وهو (باستور) الشهير فلماذا لم تحتفل الجامعة باحياء ذكره، واعلاء قدره؟

وقد كان الدكتور طه حسين أحد مدرسي الجامعة المصرية ينشر في هذه الاثناء التي وقع فيها الاحتفال بذكرى (رينان)مقالات في جريدة السياسة يحاول فيها إثبات انتشار الارتياب في الدين الاسلامي والالحاد والفسق عنه في أهل القرن الثاني والثالث للهجرة الاسلامية في بلاد الحضارة العربية كالعراق بل في الحجاز أيضا، ويستدل على ذلك بشبهات كشبهات رينان ، كما أخبرنا الثقات الذين رد بعضهم عليه

وفي اثر ذلك نشر في الجرائد إعلان يبشر الناس بأن الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق سيلقي في الجامعة المصرية محاضرة موضوعها(الفيلسوف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رينان وجمال الدين الافغاني) فظننا نحن وأمثالنا أنه يريد بهذه المحاضرة أن يمحو سيئة ذلك الاحتفال بالاشادة بفضل فيلسوف الاسلام السيد الحسيني سليل البضعة النبوية الطاهرة الذي اشتهر عنه أنه رد على محاضرة رينان في وقتها بما هدم بنيانها ، وقوض أركانها ، وقد أممنا دار الجامعة في مساء اليوم الثاني من شعبان (٢٠ مارس) مع الكثيرين لسماع محاضرته ، فلما سمعناها دهشنا وخاب أملنا ، فخرجنا من دار الجامعة الى دار جريدة الاهرام لموعد اجتماع مجلس ادارة نقابة الصحافة فيها فخف بنا كثيرون ممن خرج معنا من الازهريين وغيرهم فرأيناهم مستائين مما سمعوا كارهين له ، فذكرنا لهم بعض مافي الخطاب من الخطأ والخطل والضعف في المحاضرة فتمنوا لو يكتب فوعدناهم بذلك وقد كتبنا في تلك الليلة العجالة التالية لجريدة الاهرام :

﴿ محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق ﴾

(موسيو رينان وجمال الدين)

نظرة عجلى

حضرت هذه المحاضرة في الجامعة المصرية وكنت قد سمعت من شيخنا الاستاذ الامام كلمة مجملة عن رد السيد علي رينان فهمت منها ما سأذكره بعد

كنت أظن أن سأسمع ما قاله رينان في الاسلام مفصلا وان يكون فيه شبهات ومطاعن دقيقة تحتاج الى حجج جمال الدين وقوة عارضته فخاب ظني

وكنت انتظر أن اسمع تتمة المحاضرة المعلن عنها في الصحف وهي ما كان بين رينان ومحمد عبده لارى هل أسمع عنه ضد ما أعلم منه عن نفسه، كما سمعت ضد ما أعلم منه عن استاذه ؟ ولكن الاستاذ صاحب المحاضرة أطال في المقدمة فضاق الوقت المعين عن الخاتمة ، وهي على ما أظن رد الشيخ محمد عبده على رينان

طعن رينان في الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن فى العرب بان عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وكل ماذكر في المحاضرة من تلخيص كلامه يدل على انه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئا الا بعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية فيها وناهيك باخلاص الفريقين والتحقيق والصدق منهم (؟) فمن تحقيق الفريق الاول مايعرفه قراء العربية من كتاب (الاسلام للكونت دي كاستري) الذي ترجمه بالعربية المرحوم احمد فتحي باشا زغلول فان فيه من العقائد المنسوبة الى الاسلام مالم يخطر في بال احد من البشر لم يطلع على مفترياته . ومن تحقيق الفريق الآخر تفضيل البربر على العرب في العلم والمدنية ، ودليلهم على ذلك أن أصلهم من برابرة الشمال الاوربيين لا من همج الساميين ، وقد اضطر الى تجهيلهم الفليسوف الاجتماعي بحق (غوستاف لوبون) احد أفراد علماء الفرنسيس الذين انصفوا العرب حق الانصاف على علم صحيح بالتاريخ

ومن هذا الباب ثناء رينان على جمال الدين وعلى قومه الافغان بانهم من الارومة الآرية ذات العقل الراقي المستعد للفلسفة العليا التي تستعصي على عقول العرب وعلل بذلك ما زعمه من عدم استمساك هذا الشعب بالاسلام . والحق الواقع القطعي الدال على مبلغ جهل رينان هو أن السيد جمال الدين هو الفليسوف الوحيد الذي خرج من الافغان وهو من صميم العرب من سلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وان الشعب الافغاني هو أشد الشعوب الاسلامية اعتصاما بدين الاسلام وتعصبا له ، لعله لا يفوقه في هذا أو يساويه فيه الا عرب نجد فاذا كان السيد جمال الدين غير متدين كما تراءى لعقل رينان فقد نقضت قاعدته في العرب وفي الافغان جميعا ، فما هذه الفلسفة؟ واذا كان هذا مبلغ علمه بهذا الشعب الحاضر ، فما القول بعلمه بالشعب العربي الاندلسي الغابر ، اذ فضح نفسه فيما قاله عنه شر فضيحة

على أننا لا نثق بما نقل الينا الاستاذ صاحب المحاضرة من كلام فيلسوفي الغرب والشرق — على رأيه — فان السيد جمال الدين كتب رده على رينان بالعربية — كما قال — وترجم لجريدة الديبا بالفرنسية . ونقل من الفرنسية الى الالمانية ، ومنها الى العربية فهل حفظ الاصل مع كثرة النقل من لغة الى لغة الى أخرى؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نقل الينا قبل هذا كلام من قول رينان في الامام الغزالي وجدناه غلطا مخالفا لما في كتبه المشهورة كتهافت الفلاسفة وأحياء علوم الدين وهو لم يعتوره من تعدد الترجمة ما أصاب رد السيد جمال الدين

ملخص ما ذكر في المحاضرة من رد السيد الافغاني على الفيلسوف الفرنسي أنه وافقه على كون الاسلام عدو العلم والعقل كسائر الاديان وخالفه في طعنه في العرب . ولكن الاستاذ صاحب المحاضرة نقل عن السيد كلمة وجيزة مجملة فيما عزاه رينان الى الاسلام هل هو من تأثير الدين نفسه أم هو تأثير فهم الناس له واختلاف الشعوب في فهمه ؟ خرجت هذه الكلمة بصوت غير جهوري فلم تعها كل اذن . ولا فكر فيها كل سامع . ولعل كل مافي الرد من التسليم باضطهاد الاسلام للعلم وعداوته للعقل مبني على هذه الكلمة

ههنا أذكر كلمة الاستاذ الامام عن رأي استاذه السيد جمال الدين في الدين والعلم ، وهي ان الاسلام دين العقل والحكمة والفلسفة الصحيحة وانه لولا تأثير هدايته لما انتقل العرب من الامية الى أعلى مما كان عليه جميع البشر في كل علم وكل فن وكل نظام وكل عمران في مدة جيل واحد حتى سادوا الفرس والروم والاوربيين وغيرهم ، وهل يعقل ان تلك الشراذم التي خرجت من جزيرة العرب حفاة عراة لا يعرفون من العلم شيئا غير القرآن ولم يكن كل واحد منهم يحفظه كله يمكن أن تدوخ كل هذه الامم وتسودها وتسوسها من ساحل المحيط الاطلسي الى الشرق الاقصى وتخضعها لدينها ولغتها بالسيف ؟ ؟

ولكن المسلمين ابتدعوا في الاسلام بدعا كثيرة لم يمكن تداركها بسبب فساد نظام الخلافة واخراجها عن أصلها الذي يشترط فيه العلم الاستقلالي والعدالة وبهذا الابتداع الذي صار اسلام القرآن فيه غير اسلام المنتسبين اليه أضاعوا العلم به ثم عادوا كل علم حتى صاروا الى ما كان يسعى السيد لتلافيه وتداركه ، فكانه يقول لرينان كل ماذكرت من عداوة الاسلام للعلم مما تكثر الشواهد عليه في التاريخ — وان كانت قليلة في عهد الاسلام بالنسبة الى غيره من الاديان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهو الاسلام الذي فهمه خطأ اولئك الذين عادوا العلم والعقل والحضارة لا اسلام القرآن الذي يخاطب العقل ويرفع شأن العلم في آيات كثيرة ويبين أن لله سننا في الكون قام بها نظامه وان هذه السنن لا تبديل لها ولا تحويل

من الكلمات المأثورة عن السيد جمال الدين ان القرآن وحده كاف لرفع البشر الى أرقى مقام من العلم والعرفان والفضائل والحضارة، لو أن شعبا وجده على صخرة في جزيرة بالبحر ولم ير غيره، وليس معنى هذا أن فيه مسائل جميع العلوم والفنون التي يرقى بها البشر وانما معناه انه يصلح العقول والانفس ويدفعها بهدايته الى طلب هذا الكمال

وكتب الي صديقي الشيخ عبد القادر المغربي من الاستانة أيام كان السيد فيها انه زاره فكان مما سمعه منه أنه ليس بين اوربا و بين القرآن من حجاب يمنعهم من الاهتداء به الا نحن معاشر المسلمين. قال: انه رفع كفيه ووضعهما أمام وجهه وفرج بين أصابعه وقال: ينظرون الينا من خلال القرآن هكذا فيرون وراءه شعوبا قد فشا فيها الجهل والفقر والكسل و.. و.. فيقولون لولا أن تعاليمه باطلة لما كان اتباعه بهذه الدركة من الانحطاط، فاذا أردنا أن نهديهم الى الاسلام فلنقنعهم أولا أننا لسنا مسلمين

وقد سألت الاستاذ الامام: هل وفى السيد بما وعد به من كتابة كتاب يثبت فيه ان المدنية الفاضلة التي مات الحكماء بحسرة من فقدها لا تختط في العالم الا بالدين الاسلامي؟ فقال لا أعلم أنه كتب شيئا بهذا العنوان ولكنه كتب كتابا أو قال رسالة فارسية في العدالة العامة أثبت فيها هذه القضية ولا أعلم ما فعل الله بهذا الكتاب أو الرسالة (الشك مني)

ومن أراد أن يعرف رأي السيد في تأثير الاسلام في اصلاح البشر فليقرأ مقالات العروة الوثقى الاجتماعية في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام، وأما موضوع الاسلام والعلم فقد فصله الاستاذ الامام في كتاب الاسلام والنصرانية تفصيلا.

وسأعود الى هذا الموضوع فأوفيه حقه في المنار إن شاء الله تعالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعلم من هذا أن الذي يتفق مع ما كتبه السيد جمال الدين أو أملاه في حقيقة الاسلام وكونه دين الحكمة والعقل والمدنية هو أنه قد وافق على أن الاسلام الممزوج بالبدع هو ذلك الذي اضطهد بعض اهله رجال العلم كما كان يقول في مجالسه بمصر عند رده على بعض آراء الاشعري في الكسب والجبر والتحسين والتقبيح العقليين: ان دين الاشعري في المسألة كذا وان إله الاشعري قادر مريد — غير حكيم

ويجب الملحد ان يكون عظماء الرجال ملاحدة مثله واذا كان من منتحلي الفلسفه والعلم والباحثين في الادلة يظن ان من عرف بالعقل والعلم والحكمة لا يمكن ان يكون ذا دين. وهذا ماكان يحمل بعض الناس على القول بأن جمال الدين ومحمد عبده غير متدينين.

وقد كان يسألني بعض من يعرفون مني الصدق: هل الاستاذ الامام متدين بالفعل اعتقادا وعملا؟ بل كثيرا ما سألني مثل هذا السؤال عن نفسي من يحسنون الظن بي ويعدونني من (المتنورين) مثلهم، وآخر من سألني هذا السؤال عن نفسي أديب في حضرة جماعة من المسلمين والمسيحيين منهم سليم افندي سركيس الكاتب المشهور، وموضوع السؤال الايمان بالبعث والحياة الاخرى بعد الموت، وقد أجبتهم بما أزال استبعادهم للبعث وصورته لهم بصورة تتفق مع العلوم والفنون العصرية ولا سيما الكيمياء حتى اعترفوا بذلك

ان الملحد يحكم على غيره بالالحاد بأدنى شبهة وقد حدثني الدكتور شميل أنه سأل السيد جمال الدين عن الدليل على وجود الله تعالى — قال فشرع يذكر لي قواعد كلامية في استحالة الترجيح بغير مرجح والممكن والواجب لم افهمها فعلمت أنه شاك ولا يستطيع أن يقيم برهانا علميا واضحا، والذنب على الدكتور شميل الذي كان خالي الذهن من تلك الاصول والقواعد العقلية التي اعتمد عليها متكلمو الاسلام في المسائل الالهية — فظن أن السيد يقول مالا يفهم لانه هو لم يفهم ما قاله السيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أرى في هذا البلد أفراداً يعنون في هذه الايام بافساد عقائد المسلمين وتجرئتهم على الكفر وعلى الفسق أيضاً (١) حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك في القرن الثاني للهجرة مرتابين في الدين وفاسقين عنه بدليل مايوجد عنه في بعض كتب الخلاعة والاخبار من حكاية مايؤثر في ذلك عن بعض الافراد من الشعراء والمغنين والمخنثين، على ان رواة هذه الاخبار لا يوثق بهم وأين هم من كتب المحدثين الثقاة وتراجم العلماء والصلحاء الذين ملأوا الدنيا علماً وفضلا وقدوة صالحة؟ إنهم لا يستطيعون قراءة أمثال هذه الكتب ولا تصديق مؤلفيها، (ولكل وجهة هو موليها)

وأما نحن فاننا لا نقبل الا رواية الثقاة العدول وننصح للناس أن يعرضوا عن اللغو والفضول، وروايات من لا يوثق بعدالتهم، ولا سيما اذا كانت مخالفة للروايات الصحيحة التي تعارضها، وعلماء نقد الحديث يردون رواية العدل المعروف بالصدق اذا خالفت روايات الثقاة الاثبات المعروفة فأراء حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني مدونة في رده على الدهريين وفي مقالات العروة الوثقى وغيرها برواية الثقاة وقد طبعت في عصره وتلقاها الالوف ومئات الالوف في الشرق والغرب فهل يصح أن نردها بجمل مقتضبة منقولة عمن لا يوثق بهم بعد مرورها من مضيق لغات مختلفة تعودنا أن نسمع من أهلها الاختلاق علينا في ديننا وتاريخنا وسياستنا؟ كلا انه لو صح مافعلوه فيها عن السيد جمال الدين لكانت دليلا على جهله فيما نعلم أنه من أعلم الناس به، وعلى تناقضه وعلى كذبه ونفاقه. ولو كان ذلك — أجل الله قدره — لما صح أن يكون قدوة لاحد، وفات على دعاة الالحاد أن يتخذوه قدوة فيه للناس، كيف وهو الذي أحيا النهضة العلمية والسياسية في الاسلام. رحمه الله وبرأه من تهم أعداء الاديان، كرهبان ومقلدة رينان، ونحن انما نهتدي بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم الالباب)

(١) تساهل الناس في الجرائد عن هؤلاء الافراد وهم غير محصورين وليس لنا ان نطعن في تدين فرد معين منهم الا بدليل لا يحتمل التأويل والمحاضرة التي نرد عليها ليست كذلك على ضررها في هذا الباب، وتأييدها لهؤلاء الافراد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلمة المنار في المحاضرة

(١)

كتبنا كلمتنا العجلى للاهرام عقب حضور المحاضرة بحافز التأثير السيء الذي كان لها في نفسنا وفي أنفس الجمهور كما علمنا ، كما أن احد أساتذة الجامعة جاء الاهرام في تلك الليلة بكلمة أثنى فيها على المحاضرة و زعم أن الجمهور تلقاها بالقبول والارتياح . . ، ورغب الى رئيس تحريرها أن ينشرها في الجريدة على أن تكون باسمها ففعل ، ثم استكتبوا رضا توفيق بك الملقب بالفيلسوف التركي مقالة في الثناء على المحاضرة وتحييد موضوعها والتنويه بأمر الجامعة المصرية وأساتذتها ونشروها

ونحن وعدنا في كلمتنا العجلى أن نعود الى الموضوع فنجليه في المنار — والمنار أجدر به — لاجل أن نكتب ما نرى فيه الفائدة بعد قراءة المحاضرة لعلمنا بأن ستنشر في جريدة السياسة التي كانت خصصت بعض صفحاتها لنشر أمثالها ، فلما قرأناها ظهر لنا ما كان خفي علينا عند سماعها ، وأوله افتتاحها بتدقيق البحث في تاريخ اخراج السيد جمال الدين من مصر واعتقاله في الهند ومجيئه الى باريس فقد أطال فيها بما لم ينشر كله في صحيفة السياسة اذ لم يكن مكتوبا ، وكان هو أول ما تبرم به السامعون ونكروه فانهم لم يحضروا لاجل سماع تاريخ السيد في اسفاره وتحرير القول في تاريخها ونرى أن نقسم القول في المنار الى بيان ما ظهر لنا من غرض الاستاذ الشيخ مصطفى من المحاضرة فالدفاع عما رمى به السيد جمال الدين فتفنيد مطاعن رينان الجهلية

الغرض من المحاضرة

كنا نظن أن الاستاذ الذي درس العلم الاسلامي في الجامع الازهر و بعض العلم الاوربي في باريس أراد بعد احتفال الجامعة المصرية برينان ، الذي لم يعرف في هذه البلاد الا بما اشتهر من طعنه في الاسلام — أن يقوم بما هو جدير به

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من تلخيص رأي رينان في الاسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه والزيادة عليه بما يعن له، وختم الكلام بخلاصة الموضوع الذي هو (الاسلام مع العلم والفلسفة) ذلك ما كنا نوده وما كان يظنه الكثيرون

فكانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذي اشتهر في العالم الاسلامي كله بأنه حكيم الاسلام وموقظ شعوبه والداعية الى تجديد مجده وإعزاز دولته بهدي الدين وعدو الالحاد وصاحب تلك الحملة المصورة على أهله في رده على الدهريين — قد كان ما كان من أمره في ذلك محصوراً في حياته قبل أن يذهب الى اوربة — بل الى باريس — وانما كان لغرض سياسي وانه بعد وصوله الى مدينة الكفر والالحاد واجتماعه برينان وأمثاله في أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكره في أقل من ثلاث سنين، فمرق من الدين، واعتقد أنه عدو للعلم والعقل والمدنية، حتى انه قبل بكل تعظيم وارتياح طعن رينان في الاسلام، وعظمه وأثنى عليه من جرائه أطيب الثناء، على ما سنبينه بالاجمال من بطلانه وسخفه الذي لا يخفى على طالب علم بله حكيم الاسلام، ومكمل تربية الاستاذ الامام (؟)

بهذا أجاب الاستاذ الشيخ مصطفى عن المقارنة بين رد السيد على رينان سنة ١٨٨٣ وبين سائر محرراته حتى رده على الدهريين الذي كتبه سنة ١٨٨١ — وهذا سر ذلك التدقيق التاريخي الذي أشرنا اليه في فاتحة هذه الكلمة ولكن المعروف من تاريخ السيد الحكيم ومن محرراته في سنة ١٨٨٣ وما بعدها انه لم يزدد بعد اقامته في أوربة وباريس خاصة الا استمساكا بعروة الاسلام الوثقى ودفاعا عنه ودعوة الى النهضة الاسلامية المدنية بهدايته العالية. وخلاصة المحاضرة أن فليسوفي الشرق والغرب قد اتفقا على اثبات عداوة الدين للعلم والعقل وحرية الفكر لا فرق بين الاسلام وغيره

علمنا أن صاحب المحاضرة كان يبحث منذ سنين عن آثار السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده فهل كل هذا التعب كان لاجل هذه النتيجة، المستنبطه من تلك المقدمات غير المسلمة ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدفاع عن السيد جمال الدين

اننا نرى التعارض تاما بين هذا الرد الذي استخرجه لنا صاحب هذه المحاضرة من ترجمة المانية عن ترجمة فرنسية لم يرها عن أصل عربي مفقود وبين سيرة السيد ومكتوباته وما روى الثقات عنه من أول عمره الى آخره حيث كان في الاستانة يختلف اليه العلماء والكتاب والاذكياء الذين لقينا كثيراً منهم، فاي الامرين نرجح؟

لدينا رجل معروف مشهور روى لنا عنه آراءه وأفكاره كثير من العلماء والفضلاء من أقطار مختلفة عاشروه وتلقوا عنه، منهم من توفي كالاستاذ الامام والاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والاستاذ ابراهيم اللقاني الذين كان أقرب الناس اليه، وألصقهم به وأكثرهم استفادة منه، ومنهم الاحياء كالاستاذ الشيخ بخيت والاستاذ ابراهيم بك الهلباوي، ومنهم آخرون من أهل سورية والاستانة وغيرها من الاقطار كالامير شكيب ارسلان والشيخ طاهر الكيالي والشيخ عبد القادر المغربي، وله آثار مخطوطة ومطبوعة في عصره أشهرها رسالة الرد على الدهريين وجريدة العروة الوثقى التي نشرها بباريس سنة ١٨٨٤

كل ذلك متفق في تعريف الرجل الينا أو تعريفنا به، ويعارضه تلخيص بالعربية عن ترجمة المانية لترجمة فرنسية لرده بالعربية على رينان — فيه ابهام التلخيص واحتمال الخطأ فيه — وعدم الثقة بمطابقة الترجمة الالمانية للفرنسية والترجمة الفرنسية للاصل العربي الذي كتبه السيد ردا على رينان، فاذا هو بهذه الظلمات الثلاث أقرب الى التأييد منه الى الرد والمشهور انه رد، على أننا فهمنا منه غير مافهمه صاحب المحاضرة

فأي هذين الامرين المتعارضين نرجح؟ أفهمنا المؤيد بالآثار المخطوطات والمطبوعات، وبروايات الثقات الاثبات أم فهمه المعارض بكل ما ذكرنا الذي تعلوه تلك الظلمات الثلاث اننا نرى أهل الفرق المختلفين في اصول الدين الواحد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم على مذهبه بنصوص من كتاب ذلك الدين الالهي وكذلك المختلفون في الفروع قد يرد بعضهم على بعض بنصوص الكتاب وأقوال الرسل عليهم السلام. بل نرى أهل دين يستدلون بكتاب غير كتابهم على خلاف ما اجمع عليه المؤمنون بذلك الكتاب، كما ألف بعض دعاة النصرانية كتابا استدل فيه بآيات من القرآن على أن التوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب حق كما أنزلهما الله وأنه لا تحريف فيهما ولا تبديل . وانه يجب العمل بهما بعد الاسلام ! !

اننا نجد فيما لخصه الاستاذ صاحب المحاضرة من رد السيد جمال الدين على رينان جملا متفرقة تخالف جملا أخرى منها وتحول دون صحة النتيجة التي استنبطها من مجموع الرد وقد يؤيدها في ذلك جملة من تلخيص رد رينان على السيد

أول ما لخصه من رد السيد قوله :

« تشتمل محاضرة الموسيو رينان على نقطتين أساسيتين فقد حاول هذا المفكر العظيم أن يبرهن على أن الديانة الاسلامية كانت بما لها من نشأة خاصة تناهض العلم وان الامة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة ولا للفلسفة

« ويظهر ان الموسيو رينان يقول ان هذه النبتة الصالحة ذبلت في أيدي المسلمين كما يذبل النبات تلفحه ريح الصحراء الساخنة »

« وان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها : أصدر هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية في العالم ؟ أم ان أخلاق الشعوب التي أعتنقت هذا الدين أو حملت على اعتناقه بالقوة — وعاداتها ومواهبها الطبيعية — هي جميعا مصدر ذلك ؟

« ولا ريب (١) أن الوقت المخصص لرينان قد حال دون اجلائه هذه النقطة » أه بحروفه فيؤخذ من هذه الجملة أو لجمل أمور :

(أحدها) — أن السيد صرح بان رينان حاول أن يبرهن على نظريته في

(١) الظاهر أن هذه الجملة استئناف بياني فواو العطف في أولها غلط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلام ، لا أنه برهن، ومعنى حاوله طلبه بحيلة كما بينه الزمخشري في أساس البلاغة وإنما يلجأ الى الحيلة العاجز

(ثانيا) — أنه حاول ذلك بأخذه من نشأة هذا الدين الخاصة وكون العرب الذين نزل كتابه بلغتهم غير مستعدين للعلم والفلسفة ـ لا من طبيعته وتعاليمه

(ثالثها) — أن الاسلام نفسه نبتة صالحة — أو العلوم — فالعبارة محتملة، وأنها ذبلت في أيدي المسلمين وتصوحت كما يتصوح النبات الغض تلفحه ريح السموم

ومعنى هذا على الوجه الثاني ان العلوم وجدت في عهد الاسلام ثم ذبلت ، وهذا حق فالتاريخ يشهد ان العرب هم الذين أحيوا العلم والفلسفة بعد ان أخرجهم الاسلام من أميتهم ، وانها انما ذبلت بعد ضعف دولهم ، ثم جفت ويبست بعد زوال تلك الدول ، وسيأتي تفصيل ذلك

(رابعها) — قوله : ان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها أصدر هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية الخ ما تقدم

والذي يتفق مع سيرة السيد مجملة ومفصلة بل الذي نقل عنه صراحة هو ان اسلام القرآن أكمل هداية للبشر وأنه كافل للمدنية الفاضلة التي مات الفلاسفة والحكماء في حسرة من فقدها وعدم اهتداء السبيل اليها ، وان المسلمين لم يقوموا بكل ما أرشد اليه الاسلام من كل وجه، وانهم جنوا على دينهم حتى نفروا الناس منه في القرون الاخيرة، وقد نقلنا في الكلمة العجلى بعض ماروى لنا الثقات عنه في آخر عمره في الاستانة أي بعد التطور الذي استنبطه الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فكان منشأ أغلاطه . ومما يؤثر عنه وسمعه منه الكثيرون : أن القرآن لا يزال بكرا لم يفسره احد حق تفسيره ، وان فيه من الهداية ما يناسب كل عصر، وان المسلمين أخذوا من هدايته المدنية في كل عصر بقدر استعدادهم وأحوالهم الاجتماعية، ولولا ما سنشير اليه من الصدمات التاريخية لبلغوا به الكمال المدني كما بلغوا الكمال الديني — يؤيد فهمنا هذا ما نقله الاستاذ صاحب المحاضرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من رد رينان على السيد جمال الدين قبل خاتمتها وهو قوله :

« ويلوح لي أن الشيخ جمال الدين قد زودني بطائفة من الآراء الهامة(١) تعينني على نظريتي الاساسية وهي أن الاسلام في النصف الاول من وجوده لم يحل دون استقرار الحركة العلمية في الاراضي الاسلامية . ولكن في النصف الثاني خنق الحركة العلمية وهي في حظيرته فكان هذا من سوء حظه » أه

أضف الى هذا إطناب السيد في تفنيد رأي رينان في العرب — واستنتج منهما أنه يعني بالنصف الاول عصر الدول العربية المحضة قبل تغلب الاعاجم على خلفاء العرب من ترك وفرس — وبهذا تعلم أن السيد قد هدم محاضرة رينان ونسفها نسفا برقة ولطف ، كالماء تخلل أساس بناء بني على شفا جرف هار فانهار به ، وان كل ماوافقه عليه هو أن المسلمين قد وجد منهم كغيرهم في نشأة الاسلام الاعجمية في النصف الثاني من حياته ماخنق الحركة العلمية ، فكل ما أسنده الى الاسلام موافقا لرينان يراد به الاسلام الاعجمي المشوه بالبدع ، لا الاسلام العربي المنصوص في القرآن والسنن ، والا كان كلامه متناقضا ، ولا وجه لدفع التناقض الذي يصان عنه كلام العقلاء الا ماذكرنا

شرح الشيخ محمد عبده لرد الافغاني على رينان

إنني أستطيع أن أشرح لك أيها القارىء هذا الحكم ولكنك غني عن شرحي بشرح أكبر تلاميذ السيد جمال الدين ومريديه وأعلم الناس بآرائه والمطلع على رده على رينان بنصه ، فهو قد شرح هذا الرد بكتاب حافل ، تتزين به الخزائن والمحافل ، الا وهو (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

أورد في هذا الكتاب بضعة من أصول الاسلام هي نصوص جلية وبراهين قطعية ، على كونه دين العلم والعقل والمدنية ، ثم ذكر خلاصة تاريخية لمؤرخي الاسلام والافرنج عن الدول العربية ، تثبت ان تلك المدنية الزاهرة وانتشار العلم والفلسفة

(١) — المنار : الصواب المهمة فان المهم مايهتم به الانسان والهام المذنب ، ومن سجع الاساس : أهمه حتى همه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان نتيجة تلك الاصول الاسلامية واستعداد الامة العربية . ومما نقله من كلام غوستاف لوبون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي فيه : إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين

وبعد أن شرح نتائج تلك الاصول فتح باباً آخر للكلام عنوانه (الاسلام اليوم او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام) وصف فيه سوء حال المسلمين علمائهم وزعمائهم — وذكر أنه هو الذى حمل رينان على الطعن في الاسلام واتخذه حجة له — وقد أورد ذلك بصيغة السؤال ثم أجاب عنه بعد أن سماه « جمود المسلمين » جواباً بين به أسبابه والمخرج منه ومما قاله في أوائل هذا الجواب والعنوان لنا:

ضعف الاسلام العربي بتغلب الاعاجم

« أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سببا فيما صار اليه اهله : كان الاسلام دينا عربياً، ثم لحقه العلم فصار علما عربياً، بعد ان كان يونانياً، ثم أخطأ خليفة فى السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سبيلا الى ما كان يظنه خيرا له : ظن أن الجيش العربي قد يكون عونا لخليفة علوي لان العلويين كانوا ألصق ببيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد أن يتخذ له جيشاً أجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه . و يصطنعها باحسانه . فلا تساعد الخارج عليه، ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجميا

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه ، و بئس ما صنع بأمته ودينه، اكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه ، فلم تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذبه الدين، بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعبده في خلوته، و يصلي مع الجماعات لتمكين سلطته، ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم ومنهم من تولى أمره

«أي عدو لهؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم: و يكشف لهم قبح سيرهم ؟ فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم أما العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة، وحملوا كثيرا من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله، ليعدوا من قبيله . ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبغض اليهم العلم و يبعدهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى و حماية الدين : زعموا الدين ناقصا ليكملوه ،أو مريضا ليعلاوه، أو متداعيا ليدعموه ،أو يكاد أن ينقض ليقيموه

«نظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية . وفي عادات من كان حولهم من الامم النصرانية، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه. لكنهم نجحوا في اقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره ،وتفخيم أوامره والغوغاء عون الغاشم، وهم يد الظالم، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ،وتلك الاجتماعات، وسنوا لنا من عبادة الاولياء والعلماء والمتشبهين بهم مافرق الجماعة. وأركس الناس في الضلالة، وقرروا أن المتأخر ،ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم،وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول . ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاخبار والآراء مايقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ماهو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ،ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه ، وأن ما يظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال ليس من صنع الحكام وانما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال آخر الزمان وأنه لا حيلة في اصلاح حال ولا مآل ، وأن الاسلم تفويض ذلك الى الله وما على المسلم الا أن يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الالفاظ لبعض الاحاديث مايعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزرهم في بث هذه الاوهام. وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم في جميع الاطراف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم وغلا للايدي عن العمل . والعامل الاقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات انما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور اذا اجتمعت أهلكت. فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم و يباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة — سياسة الظلمة وأهل الاثرة — هي التي روجت ما ادخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاكان يخترق به أطباق السموات، وأخلدت به الى يأس يجاور به العجماوات. فجل ما تراه الآن مما نسميه اسلاما فهو ليس باسلام وانما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ومن الاقوال قليلا منها حرفت عن معانيها. ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذى ذكرته وعدوه دينا . نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه. فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وانما هو شيء آخر سموه اسلاما والقرآن شاهد صادق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) يشهد بأنهم كاذبون وانهم عنه لاهون وعما جاء به معرضون . وسنوفي ذلك الكلام في مفاسد هذا الجمود ونثبت انه علة لا بد أن تزول اه المراد منه هنا (للكلام بقية)

رسائل الطعن فى الوهابية

كان السلطان عبد الحميد يخاف عاقبة نهضة العرب الدينية في نجد إذ كان يعتقد هو وبعض أركان دولته أن العرب لا تجتمع لهم كلمة ولا تقوم لهم دولة الا بدعوة دينية كما قرره حكيمهم ابن خلدون في مقدمته — فكان يغري بعض امرائهم ببعض كاغراء آل رشيد بآل سعود ، وكان المنافقون من المعممين يتقربون الى حكومته بالطعن في الوهابية ويزعمون أنهم يخدمون بذلك الدين وينصرون السنة ، ولكننا لم نر أحدا من هؤلاء المنافقين نصر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لدين بالرد على الملاحدة ولا على دعاة النصرانية الذين يطعنون في أصل الاسلام وكتابه ورسوله لتنصير المسلمين ، وكان بعض حشوية الشام المتملقين أشد الناس اسرافا في الطعن في الوهابية فلا يكادون يذكرون في كل البلاد العثمانية بقدر مايذكرون في دمشق وحدها .

وقد خفت هذه الوطأة في السنين الاخيرة ثم اشتدت بعد استقرت امارة عبد الله بن الملك حسين في شرق الاردن وشاع أن الوهابية سيزحفون للاستيلاء على هذه المنطقة لانتزاعها من السلطة الحجازية البريطانية ، وكان بعض الجرائد المسيحية في دمشق والقدس أول ميادين هذه الحملة . فاصحابها النصارى يطعنون في الوهابية ويفضلون امراء الحجاز على امراء نجد من طريق السياسة بل ذكرت جريدة (لسان العرب) التي تأخذ راتبا شهريا من الامير عبدالله ومنحتها جريدة القبلة الحجازية لقب « لسان أقوامنا » أنه يجب على النصارى في سورية وفلسطين تأييد الملك حسين وأولاده لان حكومتهم مدنية لا اسلامية بخلاف حكومة نجد فانها اسلامية دينية متعصبة — وقد فتحوا أبواب صحفهم لكل من يطعن في الوهابية من المسلمين طعنا دينيا بحتا لاجل هذه الغاية السياسية

وفي هذه الاثناء جاءتنا عدة رسائل من دمشق ورسالة من بيروت في الطعن في الوهابية كتب على ظهر بعضها أنها « توزع مجانا وقفا لله تعالى » وعلى البعض الآخر « توزع مجانا في محبة رسول الله صلى الله عليه » وغير معهود من أصحابها هذا السخاء في نشر العلم والدين ؟ ؟

لم يرسل الينا هذه الرسائل مؤلفوها . بل أرسلها بعض أهل العلم والدين لنرد عليها . وقد تصفحنا أوراقا من كل منها من أولها وآخرها فلم نر شيئاً منها يستحق أن يكرم بالرد . لانهم يقولون زورا ويختلقون أفكارا ويردون عليها كما يردون بعض الحق بمحض الجهل وتقليد العوام ومجاراتهم وجعل البدع الفاشية فيهم سننا مجمعا عليها . بل ذكروا في رسائلهم من الاحاديث الموضوعة والآثار المصنوعة والكذب على السلف الصالح والائمة مايعد معه الكذب على الشيخ محمد عبد الوهاب وأهل نجد أمراً هينا فان كذبا عليه (ص) ليس ككذب على غيره فمن كذب عليه متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، كما تواتر عنه عليه صلوات الله وسلامه . على أن بعض علماء دمشق الاثريين قد ردوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليهم برسائل فضحوا بها ما ستروا ولقفوا ما لفقوا

فمن هذه الرسائل ثلاث لرجل فى دمشق يدعى الشيخ عبد القادر الكيلاني الاسكندراني لقيته في دمشق غير مرة فاوهمني أنه يكره الحشو والبدع ويحب الاصلاح . وما كنت اظن فيه أن يكتب امثال هذه الرسائل ولكنها هي أدل على حقيقة حاله مما تراءى لي منه

(ومنها) رسالة لرجل عامي لا ندري أهو من طائفة المعممين أم من غيرهم اسمه محمد توفيق السويقة — وقد كتب عليها انها الرسالة الاولى

(ومنها) رسالة للشيخ محمد جميل الشطي الحنبلي سماها (الوسيط بين الافراط والتفريط) نصب فيها نفسه حكما بين الوهابية وغلاة خصومهم وكنا نظن أنه يحكم عن علم ، ويلتزم الحق فلا يجور فى الحكم ، فاذا هو خصم أي خصم ، نقل عنهم ماليس عندهم ، ولبس الحق بالباطل ، ولم يميز بين الاواخر والاوائل ، بل جعل الخلف الطالح ، كالسلف الصالح ، وايدهم في بعض المواضع من حيث لا يدري بل في سياق الرد عليهم ، واعتمد في هذا الرد على كلام اعدائهم ومقلدة أعدائهم

رد على هذه الرسائل الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري والشيخ أبو اليسار الدمشقي ، فأتيا بما يكفي دافعا لمفترياتها ، ومزيلا لشبهاتها ، وإن لم يستقصيا جميع ضلالاتها ، وردهما عليها رد على رسالة الشيخ مصباح شبقلو البيروتي . فان كل الذين يردون على الوهابية يستمدون الافتراء عليهم من مصدر واحد كما أن مصدر مادتهم العلمية والدينية واحد هو التقليد لمتأخري مقلدة الحشوية وبدعهم ، فلا تحري في النقل ، ولا استقلال في الفهم ، ولا رسوخ في شيء من العلم ، وأنى والعلم الذي فرضه الله على كل مسلم محرّم عندهم ، لانه يدخل في مفهوم الاجتهاد الذي أقفل بابه بعض شيوخ مشايخهم ، وشرعوا للناس تقليد المجتهدين بدلا منه ، ثم شرع آخرون لهم تقليد المقلدين ، وجميع من ينسب الى مذاهبهم من الميتين ، الى خمس طبقات مرتبة في خمس دركات على أنهم يستدلون فيجتهدون لتأييد التقليد ، لان الاجتهاد المحرم عندهم ما يطلب به الحق لذاته ، ولذلك يحتجون بالاحاديث الموضوعة أو المفتراة حديثا لان مشايخهم ذكروها ، ولا يعلم الفريقان أن المحدثين أنكروها أو لم يثبتوها ، والتمييز بين الاحاديث الصحيحة والباطلة من شروط العلم المحرم عندهم . وان لنا كلمة فاصلة فيهم وفي بيان عقائد الوهابية سيرونها في جزء آخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُرًى « وصُرًا » كمنار الطريق

٣٠ رمضان ١٣٤١ — ٢٥ الثور (ر٢) سنة ١٣٠١هـ ش ١٦ مايو ١٩٢٣